

د. هبة عادل العزاوي

# فلسفة المدينة الفاضلة

وواقعية الفلاسفة المعاصرين



www.daralrafidain.com

OPUS   
PUBLISHERS

فلسفة المدينة الفاضلة

وواقعية الفلاسفة المعاصرين



د.هبة عادل العزاوي

# فلسفة المدينة الفاضلة

وواقعية الفلاسفة المعاصرين



OPUS   
PUBLISHERS

---

## فلسفة المدينة الفاضلة

وواقعية الفلاسفة المعاصرين

### PHILOSOPHY OF THE VIRTUOUS CITY AND REALITY OF MODERN PHILOSOPHERS

---

المؤلف

د. هبة عادل العزاوي

الطبعة الاولى، لبنان/كندا، 2016

First Edition, Lebanon/Canada, 2016

---

جميع حقوق النشر محفوظة، ولا يحق لأي شخص أو مؤسسة أو جهة، إعادة إصدار هذا الكتاب، أو جزء منه، أو نقله، بأي شكل أو واسطة من وسائط نقل المعلومات، سواء أكانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك النسخ أو التسجيل أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطي من أصحاب الحقوق

All rights reserved, is not entitled to any person or institution or entity reissue of this book, or part thereof, or transmitted in any form or mode of modes of transmission of information, whether electronic or mechanical, including photocopying, recording, or storage and retrieval without written permission from the rights holders

---



56 Laurel Cres. London, Ontario, Canada

Tel: +1 2266783972

N6H 4W7

opuspublishers@hotmail.com



لبنان - بيروت / الحمرا

تلفون: +961 1 541980 / +961 1 751055

daralrafidain@yahoo.com

www.daralrafidain.com

---

هام: إن جميع الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبر عن رأي كاتبها، ولا تعبر بالضرورة عن رأي الناشر.

ISBN: 978-1-988150-22-2

## الإهداء

— إلى وطن إحترقنا بناره, فرددناها بردا

وسلاما, لا تحرق بل تضيء

ليس فيها من صفات النار إلا النور...

— إلى وطن جعلني اسيرة حلم بمجتمع

امن مستقر...

— إليك يا عراق اهدي دراستي هذه, لابين

إمكانية ولادة السلام من رحم الحرب

د. هبة عادل العزاوي



## المقدمة:-

كما عند كل الكائنات، لدينا قوى دفاعية ضد من يحاول إيلاطنا، ولم اقصد جسدية ظاهرة فحسب، بل ونفسية كذلك.

فما الاحلام، واحلام اليقظة، إلا واحدة من قوانا الدفاعية ضد واقع يؤلمنا.إنها نوع من العلاج الطبيعي او العقار المهدىء الذي نمحه لانفسنا بنفسنا، بالوعي المباشر حين، او عندما نحوله إلى اللاوعي احيانا اخرى. كمن نام عطشا فحلم إنه يشرب الماء.او كمن إستاء من شخص ما ولم يظهر له ذلك، فتخيل إنه لبس التاج وقبض على الصولجان وسينتقم من الشخص الذي إستاء منه باقرب فرصة.

المجتمعات الحالمة هي نوع من الوسائل الانسانية الدفاعية - المتنفس - يشهرها المفكر بوجه واقع مؤلم معاش.عندما قال بها المفكرون والفلاسفة قديما، اطلق عليها اليوتوبيات (من كلمة يوتوبيا Utopia) لان مواصفاتها تجعلها غير قابلة للانوجاد في الواقع.

وتعرف اليوتوبيا: بانها المجتمع المثالي الذي لا وجود له، والذي يزخر باسباب الراحة والسعادة لكل بني البشر، إذ ان كلمة يوتوبيا مشتقة من اللفظ اليوناني توبوس الذي يعني الامكان.



والتعريف يظهر إن مسألة لا إمكانية وجود مثل هذه المجتمعات، هي مسألة محسومة من الأساس. غير إنها كانت مجرد وسائل دفاعية لبعض المفكرين والفلاسفة، على ما اشرنا، او ربما كانت متنفسا لرغبات إنسانية، حلم او امل مرتجى.

لكن مع إنتهاء السرديات الكبرى، لم يعد الانسان يتوفر على هكذا احلام، ما جعله يتوجه إلى احلام من نوع خاص تكون اقرب الى التحقق بتجريدها من المثاليات المفرطة، وبسبغها بمواصفات قريبة من الواقع، بعيدة عن الخيال. فضلا عن دعمها بتعزيزات علمية، وبطرق منطقية، يمكن إذا ما سلكها الانسان ان يتمكن من تحقيقها بالفعل.

وهذا هو الطريق الذي سلكه الفلاسفة الذين إتخذناهم إنموذجا لدراستنا في هذا الحقل، آملين ان يوفق الإنسان للعيش بهكذا مجتمعات في الواقع.

الدراسة الفلسفية الاولى:

التنسيق في حدود النسق

دراسة في فلسفة رويس الاخلاقية



## المقدمة

تمثل فلسفة جوزيا رويس<sup>(1)(\*)</sup> (1835 Josiah Royce - 1916). نسقاً متكاملًا. فعلى الرغم من استقلال موضوعاتها تحت عناوين ومسميات، إلا أن من الصعوبة فصل تلك المواضيع عن بعضها لتداخلها. غير أن واجب الباحث الموضوعي الذي يروم تناول جانب ما من كل، هو العمل على توضيح ذلك الجانب بطريقه تحرره من سطوة الجوانب الأخرى ومن ثم تسليط الضوء عليه، وإلا وقعنا في فخ الكل وقوة نوره التي ستحجب نور الجزء ما يحكم على المهمة البحثية بالضياع ومن ثم الفشل. وهكذا تحتم علينا انتشال موضوع بحثنا من سطوة تداخل فلسفة رويس النسقية قدر الإمكان مع انتباهنا لأهمية الإشارة إلى صلة موضوع بحثنا ببعض جوانب فلسفته في بعض الأحيان للضرورة البحثية. وبخاصة صلته بفلسفته الدينية.

موضوع بحثنا اهتم بفلسفة رويس الأخلاقية، وكان سبب ذلك الاهتمام هو أهمية هذه الفلسفة كونها حددت معالم مثالية رويس الجديدة، إذ صبغتها بالصبغة العملية وانزلتها إلى ميدان التطبيق

---

(1) (\*) فيلسوف المثالية الأولى في النصف الثاني من القرن التاسع عشر.

ان كون الفكر ابن البيئة الذي نبع منها، حقيقة لا يمكن الشك فيها، والبيئة العامة التي شكلت لنا فكر رويس كانت بيئة تطور فيها العلم في مقابل تراجع الدين وانحسار بعض الفلسفات في مقابل ولادة فلسفات تتلائم وروح العصر وإذا كانت بعض الفلسفات المنحسرة قد عاودت الظهور، فان ذلك لن يثير استغرابنا، ذلك ان الحقيقة الفكرية تقر بالحلقة التواصلية للفلسفات، وبخاصة الاصلية منها، إذ يكون لها إتباع وموالون غالباً ما يعمدون إلى إعادة النفس إليها وحياتها. إلا ان ما يمكن له ان يثير استغرابنا هو ان تعود تلك الفلسفات للعيش في جو جديد بحلتها ذاتها وهي مدركة لحقيقة ضيقها وعدم قدرتها على استيعاب الجديد من الافكار والعلوم رويس ينتمي إلى مدرسة من المفروض انها لم تعد مقبولة في العصر الذي ظهرت فيه إلا انه كان مدركاً لذلك الامر ما جعله يعالج ذلك الواقع وكانت فلسفته الاخلاقية هي من حددت معالم ذلك التجديد. وقد وجدنا دراسات عدة اهتمت بفلسفته وفلسفته الدينية بالذات وبخاصة من قبل من عرفنا برويس ترجمة ودراسةً لأعماله، واقصد الدكتور احمد الانصاري<sup>(1)</sup>. إلا اننا لم نجد، في محيطنا الاكاديمي، دراسة جادة في فلسفته الاخلاقية على الرغم من اهميتها التي بينهاها. فكان ذلك دافعنا الرئيس لتلك الدراسة. إضافة إلى اننا رغبنا ان نبين ان لرويس جانب توفيق في صميم فلسفته الاخلاقية، لا يقل اهميته عن الجانب التوفيق الذي اشتهر عنه ما بين

---

(1) (\*) احمد محمود الانصاري، حاصل على دكتوراه في الفلسفة من جامعة القاهرة 1997، عضو الجمعية الفلسفية المصرية.

الدين و الفلسفة او العقل والنقل. المنهج الذي سنعتمده في بحثنا هو المنهج ذاته الذي اعتمده رويس نفسه، وهو عرض الإشكالية الاخلاقية، الإشكالية التي اشكلت على الفلاسفات الاخلاقية السابقة وكانت لكل واحدة فيها آراء ووجهات نظر مختلفة عنها. ثم نحاول بعد ذلك بيان تناقضاتها وتداخلاتها ومن ثم نبين آراء رويس في محاولاته حلها من خلال التوفيق والوحدة. ذلك المنهج الذي استمد اساسه من هيجل (Hegel 1831 - 1770). ثم سننتهي إلى بيان غاية رويس النهائية وطموحه الذي جعله يتوسل بالتنسيق والتوفيق لتحقيقها.

### اولاً :- التعريف بالنسق

النسق system في لسان العرب، ما كان على طريقة نظام واحد عام في الاشياء<sup>(1)</sup>. والنسق الفلسفي، هو الإطار الفكري الكامل او الموقف المتكامل الذي يفسر فيه الفيلسوف ما يلج عليه من تساؤلات واهتمامات، والنسق في شكله العام هو الربط والجمع لافكار الفيلسوف بعضها ببعض في وحدة<sup>(2)</sup>.

ولفيلسوفنا رايأ في النسق او النظام، إذ قال «لا يعد اي نظام في عالم المكان والزمان والكمية او في مجال الاخلاق، مهما كانت حيويته ومعناه وقيمته وجماله نظاماً إلا لانه يقوم لنا انساقاً من الوقائع والموضوعات التي يمكن ترتيبها فيكون فيها الاول والثاني وهكذا

---

(1) www. Maajim. com

(2) www. Maajim. com

اولها صورة اعلى من النظا»<sup>(1)</sup> النسق الفلسفي لرويس كان نسق فلسفي مثالي، وهنا تبرز ضرورة اعطاء لمحة سريعة عنه بعامه اولاً، بعد ذلك نخرج على نسقه الخاص الذي اشتقه من نسق المثالية العام .

النسق الفلسفي المثالي، او المثالية idealism مشتقة من اللفظ اليوناني idea التي تعني الشيء المرئي<sup>(2)</sup> . وهي المذهب الفلسفي الذي يمنح الاولوية للفكرة او المثال، او الوعي او الروح على المادة. والذي يرجع الوجود إلى الفكر، إذ يكون عندها الفكر هو الوجود الحقيقي<sup>(3)</sup> . واول من استعمل المثالية كمصطلح فلسفي هو ليبنتز (- 1646 Leibniz 1716) في مقابل المادية<sup>(4)</sup> . غالباً ما تعرف المثالية في مقابل الواقعية Realism ففي موسوعته، يعرف عبد الرحمن بدوي المثالي «هو ما ليس واقعياً»<sup>(5)</sup> .

فالمثالية والواقعية «لفظان فلسفيان ولكنهما دائران على السنة الناس في اللغة الجارية: فالناس يصفون انساناً بأنه «مثالي» إذا كان في فكره وفي عمله حريصاً على ترسم الصورة الكاملة، ساعياً إلى تحقيق المثل الأعلى، ويصفون انساناً آخر. بأنه «واقعي» إذا كان في تفكيره وتصرفاته ملتزماً حدود الممكنات القريبة الحصول، حاسباً

---

(1) www.startimes.com

(2) رويس، جوزيا:- العالم والفرد ج(1)، ترجمة وتقديم احمد الانصاري، مراجعة حسن حنفي، القاهرة، 2008، ص424.

(3) اسلام، عزمي: اتجاهات في الفلسفة المعاصرة، الكويت، 1980، ص43

(4) صليبيا، جميل : المعجم الفلسفي ج 2، بيروت، 1982، ص337

(5) اسلام، عزمي : اتجاهات في الفلسفة المعاصرة، ص 43

حساب الواقع الملموس»<sup>(1)</sup>. والحقيقة ان اول من استخدم كلمة مثال كمصطلح في الفلسفة هو افلاطون (427 - 348 ق.م plato) وعنى به ما هو كلي universal في مقابل الجزئي، وتبعاً له فالفكرة idea لا تدرك إلا بالعقل، ولا توجد في زمان، اي انها حقيقة ازلية<sup>(2)</sup>. تؤمن المثالية بان العالم الازلي المتغير للحواس ليس هو الذي يؤلف الحقيقة، إنما مجموع الجواهر الروحية او الافكار<sup>(3)</sup>. فالافكار تمثل الواقع الحقيقي وانه ليس للعالم المادي الذي ندركه بحواسنا اي واقع حقيقي<sup>(4)</sup>. مع المثالية يتوقف وجود الاشياء الخارجية على وجود القوى التي تدركها، فإذا انعدمت هذه القوى استحال وجود العالم الخارجي<sup>(5)</sup>. قال المثاليون بمذهب الوحدة Monism ضد مذهب الكثرة plaralism المثالية، بحسب الفيلسوف الانجليزي مور Moor ذات طبيعة روحية spiritual وهذه الطبيعة تعني ان العالم يختلف تماماً عما يبدو لنا من جهة.

ومن اخرى ان صفات العالم لا تظهر لنا ولا لحواسنا، وان هذا العالم يتصف بالتعقل وانه يسير وفق غايات واهداف<sup>(6)</sup>. النظرة

(1) بدوي، عبد الرحمن : موسوعة الفلسفة ج2، بيروت، 1984، ص 438 .

(2) امين، عثمان: رواد المثالية في الفلسفة الغربية، ط2، القاهرة، 1975، ص7.

(3) الاسعد، محمد اسعد : الاتجاه المثالي في الفكر العربي المعاصر، رسالة ماجستير كلية الآداب - جامعة بغداد - قسم الفلسفة، 1990، ص10.

(4) فروم، ايرك، مفهوم الإنسان عند ماركس، ترجمة محمد سيد رصاص، سوريا، 1998، ص 25 .

(5) فروم، ايرك: ما وراء الاوهام، ترجمة صلاح حاتم، سوريا، 1994، ص44.

(6) الطويل، توفيق : اسس الفلسفة، مصر، ط4، 1964، ص 337



الإيجابية للمثالية ترى انها شغلت ومازالت تشغل ارفع مكان في تاريخ الفكر الإنساني، وانها تظهر وتعود في جميع العصور ولدى جميع الشعوب التي ارتفع فيها الفكر إلى مقام الفلسفة. وان لها في حياة الناس وتفكيرهم ابلغ تأثير لانها قائمة على حاجة حقيقية في النفس. اما النظرة السلبية لها هي انها «ابتعدت عن دنيا الواقع واستخفت بعالم الشهادة، واهتمت بالذات العارفة حتى اغرقت فيها الوجود الواقعي، وحصرت نفسها في كيفية المعرفة حتى نسيت الإنسان والعالم الذي يعيش فيه»<sup>(1)</sup>. كما قيل عن المثالية ان مزاجها تعسفي صارم<sup>(2)</sup>. ذلك جعل مدارس عدة تعارضها كالواقعية Realism والوجودية Existentialism والبراجماتية pragmatism وغيرها .

للمثالية صور عدة موضوعية، وذاتية، ومتعالية، ومطلقة ... لا متسع للخوض في تفصيلاتها في هذه العجالة. فيلسوفنا ينتمي للمثالية، وهنا قد يسأل القارئ كيف يمكن لفيلسوف معاصر، واميركي مشبع بهواء الفلسفة البراجماتية pragmatism العملية ان ينتسب للمثالية؟ الحقيقة ان اية إجابة لا يمكن لها ان تكون وافية ما لم نستعرض طبيعة المثالية التي انتمى لها رويس، وكما عرفها لنا على لسانه.

بداية، ككل مثالي، قال رويس بالنسق «ان كل افكارنا عن الموجودات الواقعية تمثل اجزاء من نسق واحد مفرد، ويجب ان تكون كل اختلافات الافراد والافكار الفردية مجرد اجزاء من هذا

---

(1) محمد، علي عبد المعطي: تيارات الفلسفة معاصرة، مصر، 1984، ص 267 - 268.

(2) الطويل، توفيق : اسس الفلسفة، ص344

النسق الواحد وجزءاً من وحدته ومحقة لها»<sup>(1)</sup> فهو كان يعتقد بان «الكون بما في ذلك عالم الطبيعة هو في حقيقته كائن حي واحد، هو عقل او روح عظيم، ويعتقد رويس ان هذا المذهب ليس غامضاً ولا خيالياً لانه نتيجة تفكير دقيق يتفق تماماً مع وقائع التجربة البشرية الفعلية وفروض العلم البشري. تلك الروح الواحدة العظيمة، يشير إليها رويس في اعماله المتعددة على انها الله او اللوجوس Logos، او الذي يحل المشكلة problem solver او مفسر العالم او المطلق، او وحدة اثيرة»<sup>(2)</sup>. وقيل انه تلقى هذا الاعتقاد عن امه، المرأة المتدينة التقية، إذ كانت المسيحية - بالنسبة لها - جسم متزهة للمسيح، والناس هم الاعضاء»<sup>(3)</sup>. كما ان اعتقاده لا يخلو من الاثر الافلاطوني، وذلك ما صرح به بنفسه إذ يقول «ان فكرنا يشبه إلى حد ما بعض الافكار الافلاطونية»<sup>(4)</sup>. إلا ان رويس، وان شابه المثالية في خطوطها الرئيسية. إلا انه تقاطع معها في امور عدة. ما جعل التسمية التي تنسبه إلى المثالية المعاصرة المطلقة «لا تميزه تميزاً سليماً»<sup>(5)</sup>. فرويس انتقد الفيلسوف المثالي، يقول «كلما رايت هذا الفيلسوف المثالي

(1) رشوان، محمد مهران، مدين، محمد محمد: الفلسفة الحديثه والمعاصرة، عمان، 2012، ص 59.

(2) رويس، جوزيا: العالم والفرد ج 1، ص 315

(3) رايت، وليم كلي: تاريخ الفلسفة الحديثه، ترجمة محمود السيد احمد، تقديم ومراجعة امام عبد الفتاح امام، لبنان، 2010، ص 465.

(4) جيرار، ديلو دال: الفلسفة الامريكية، ترجمة جورج كتورة والهام الشمراني، بيروت، 2009 ص 256.

(5) رويس، جوزيا: الجانب الديني للفلسفة، ترجمة احمد الانصاري، مراجعه حسن حنفي، ط2، القاهرة، 2009، ص 312.

الذاتي العاطفي. فعليك ان تجعله يضحك من القلب مرة او مرتين، ويدرك مدى ضحالة ثقافته. فيسال نفسه قائلاً. لماذا يحتل شعوري هذه القيمة؟ ثم يستيقظ، فيكتشف ان مثله الاعلى، ليس إلا حلماً مزعجاً<sup>(1)</sup>. مثالية رويس لا تلغي الوقائع والتجربة، يقول «ان مثاليتنا تقول انظر للوقائع كما هي، وتعمق في دراستها كما جاءت إليك من التجربة، وتعرف على واقع وجودها، ولكن عليك ان تعرف ايضاً، ان الحياة الإلهية المثالية تسكن فيها، وتحيا وتنتشر في كل ارجائها»<sup>(2)</sup>. فلسفة رويس الاخلاقية هي الجانب العملي لفلسفته المثالية وبها تميزت فلسفته، يقول عن فلسفته المثالية بانها «ليست فلسفة منفصلة عن الحياة العملية، بل وعلى صلة وثيقة بامور الحياة العملية، وان كلاً من الدين والحياة العملية، قد يحققان الكثير، من وجود ارتباط ووحدة صحيحة، تقوم بين الاخلاق ونظرية فلسفية عن العالم الواقعي»<sup>(3)</sup>. وفي تصريح ضمني خبرنا ان فلسفته الاخلاقية لا تنتمي إلى المثالية لانها تخطت افكارها<sup>(4)</sup>.

مثاليته تجاوزت الجانب النظري إلى العملي يقول «لا يمكن القول بان مثاليتنا مثالية نظرية، فلمذهبنا المثالي جانبه العملي».

---

(1) شنيدر، هربرت: تاريخ الفلسفة الاميركية، ترجمة محمد فتحي الشنيطي، القاهرة، 1964، ص314.

(2) رويس، جوزيا : الجانب الديني للفلسفة، ص 162 - 163

(3) المصدر نفسه، ص338

(4) رويس، جوزيا: فلسفة الولاء، ترجمه احمد الانصاري، مراجعة حسن حنفي، ط2، القاهرة، 2009، ص 30 - 31.

اننا لم نصل إلى عارف بكل الوقائع المادية. بل إلى عارف بالخير والشر. يعرف ما نعرفه وما ينقصنا. وان في سعينا للخير، نسعى إلى شيء لا يحويه العالم الواقعي<sup>(1)</sup>. هكذا حددت فلسفته الاخلاقية معالم مثاليته واخرجتها من مسار المثاليات النظرية إلى مسر آخر لمثالية من نوع جديد، مهجن - ان صح تعبيرنا - او مطعم بالفلسفة الاميركية العملية التي يبدو انه لم يستطع الفكك من تأثيرها عليه، كونه اميركي ومعاصر لفلسفة عصره وبلده ومشبع بهواء جوها. مما لاشك فيه ان رويس اطلع على الانتقادات التي وجهت إلى المثالية.

وبديهي ان الفيلسوف عندما يروم الاخذ بفلسفة ما فانه لابد ان يكون مطلعاً على الماخذ التي اخذت عليها كي لا يعود للوقوع فيها. رويس وهو ينفي انتسابه للمثالية التقليدية، ينفي عنه بعض الشوائب التي علق بها، وجعلتها عرضه للنقد. من تلك الشوائب التي اشهرها الصفة الروحية للعالم، يقول «في كثير من صور المثالية الشعبية، التي تحاول البرهنة بالاستناد على ظواهر معينة على الطبيعة الروحية للاشياء. ويرى هؤلاء الناس ان الروح الذي لا يؤثر باستمرار، وبالتالي لا يحتل عناوين الاخبار، لا يعد روحاً حقيقياً ولذلك تستمد المثالية الدينية حياتها لدى هؤلاء الناس من هذه المؤثرات الظاهرية التي تدل على وجود الروح العظيم الفاعل في الكون»<sup>(2)</sup> ويستأنف القول «فبالنسبة لمثاليتنا لا يتاثر ايماننا بالطبيعة الروحية للاشياء»<sup>(3)</sup>. وهنا

---

(1) رويس، جوزيا: الجانب الديني للفلسفة، ص16.

(2) المصدر نفسه، 309

(3) المصدر نفسه، ص337

نلاحظ انه، وعلى الرغم من تصويره للكون على انه روح عظيم، إلا انه لم يصبغه وما فيه بالطبيعة الروحية. في محاولة منه للتنصل من المثالية التقليدية والوصول لمثالية من نوع فريد تتلائم وروح العصر وفلسفاته فكان كمن استمد منها الإطار دون المضمون بأكمله.

ومن نسق مثاليته الجديدة نتقل إلى التنسيق الذي نظر له، ليحافظ على وحدة وانسجام نسقه هذا من خلال فلسفته الاخلاقية وعن طريق التوفيق بين التناقضات وعلى طريقة الجدل الهيجلي القائل بالفكرة ونقيضها والتوحيد بينهما.

## ثانياً: التنسيق في حدود النسق

التنسيق الاول: التوفيق بين وجود الخير والشر.

الخير هو ذلك المعنى الاخلاقي الذي يمكن ان يضم معاني اخلاقية عدة ان لم يشر إليها كلها، ونقيضه هو الشر، فكيف يمكن ان نوفق بينهما؟ يتساءل رويس «ايمكن تحقيق الانسجام بين هذه الامور المتعارضة والتوفيق بينها؟ الا تعد محاولتنا القيام بهذا التوفيق ضرباً من الجنون؟»<sup>(1)</sup>. بداية يؤكد لنا حقيقة وجود الخير والشر معاً في عالم مجموعته خيراً<sup>(2)</sup>. وهنا تظهر موضوعيته وواقعيته بتاكيده اصالة وجود الشر. بل انه وجه نقده إلى كل من ي اخترع اليوتوبيات الاجتماعية وينكر

---

(1) المصدر نفسه والصفحة نفسها

(2) رويس، جوزيا: روح الفلسفة الحديثة، ترجمة احمد الانصاري، مراجعة حسن حنفي، ط2، القاهرة، 2009، ص479.

الطبيعة الشريرة للإنسان ويرفض مواجهة الشر الحقيقي في الحياة<sup>(1)</sup> ان إنكار وجود الشر يعني إنكار حاجة الإنسان للخلاص وإنكار وجود يوم الحساب، وهذا ما رفض رويس التصريح به<sup>(2)</sup>. لكن ما هو الشر بحسبه؟ الشر عنده نوعان، عام يطلقه الإنسان على كل واقعة لا يفهم معناها وتسبب لنا حالة من القلق، وخاص يطلقه على الوقائع التي تضايقه لانها تؤكد محدوديته<sup>(3)</sup>.

ويرى اننا حين نواجه هذه الوقائع وندرك الشر الكامن فيها، نرغب في تغيير خبرتنا بها<sup>(4)</sup>. والواقعة المحدودة - بحسبه - لا تعد شراً مطلقاً ذلك انه «وفق محتواها وبوصفها جانباً من الكل، تتضمن او تعني كل الوقائع المحدودة الاخرى وتحتاجها، وتشكل معها مجموع الحياة الكلية التي تحقق فيها الإرادة المطلقة»<sup>(5)</sup>. وهذا اول تفسير او تبرير له لوجود الشر، فالشر في نظام رويس المثالي هو جزء من الكل العاقل طالما كان هناك الخير الذي يبطل اثار فعله<sup>(6)</sup>. وهكذا يكون الشر منتمياً للكل وجزءاً منه كما الخوف جزءاً من شجاعة البطل<sup>(7)</sup>. فان

---

(1) الانصاري، احمد: فلسفة الدين عند جوزيا رويس، مصر، 2004، ص191.

(2) رويس، جوزيا: روح الفلسفة الحديثة، ص474.

(3) محمد، منال خالد محمود: الفلسفة المثالية عند جوزيا رويس، رسالة ماجستير، كلية الآداب - جامعة بغداد - قسم الفلسفة، 2013، ص128.

(4) Royce, Josiah : The world and The individual p11. New york. 1959. p366

(5) رويس، جوزيا: العالم والفرد، ج1، ص242.

(6) رويس، جوزيا: العالم والفرد، ج2، ترجمة وتقديم احمد الانصاري، مراجعة حسن حنفي القاهرة، 2008، ص241 .

(7) المصدر نفسه، ص244 .

كانت كل حياة محدودة صراعاً مع الشر، فان الكل من وجهة النظر الابدية خير<sup>(1)</sup>. كيف؟ ان إجابة السؤال تتطلب الإدلاء بآراء رويس في علاقة الزمن بوجود الشر. يقول «يعد وجود الشر في النظام الزمني وفق نظرتنا المثالية في الوجود شرطاً لكمال النظام الابدى»<sup>(2)</sup>. الزمن عنده متصل الحاضر مرتبط بالماضي والمستقبل، الفترة الزمنية لوعينا الإنساني، وهي التي تحدد خبرتنا الإنسانية، وتحدد بالطبع المعنى الاخلاقي لافعالنا، ولذلك يختلف معنى افعال الكائنات الاخلاقية التي تختلف الفترة الزمنية لوعينا اختلافًا كبيراً<sup>(3)</sup>. ان لتلك الآراء علاقةً وآرائه في المعرفة. فحتى تكون المعرفة صحيحة يجب ان يقتصر ادراك الشيء على ادراك اللحظة، بل لابد من الاستعانة بخبرة الماضي لان الاقتصار على ادراك اللحظة يعني ان إدراكه سيكون كإدراك الطفل الرضيع وهو ينظر إلى الشيء المدرك لأول مرة. لذلك يختلف حكمنا على الشيء لاختلاف خبرتنا والذي يوحد احكامنا على الشيء، بان الشيء الذي امامي منضده على سبيل المثال، هو ان نكون انا وانت والمنضدة اجزاء من شيء واحد يحتوينا<sup>(4)</sup>. وهكذا لا يمكن وصف الفعل بانه خير او شرير إلا بالنسبة للزمن، فان ارتكب شراً في لحظة زمنية ما، فان الشر يخص هذه اللحظة الزمنية فقط<sup>(5)</sup>.

(1) المصدر نفسه، ص246 - 247 .

(2) المصدر نفسه، ص249 .

(3) المصدر نفسه، ص253 .

(4) رويس، جوزيا : العالم والفرد، ج1، ص320 - 321 .

(5) محمود، زكي نجيب: حياة الفكر في العالم الجديد، ط3، القاهرة، 1987، ص101.

اما الخير النهائي فلا يوجد إلا في النظام الابدي، ذلك ان الله او الإنسان لا يرى الخير الكامل في اية لحظة زمنية من لحظات النظام الزمني<sup>(1)</sup>. وعليه يصرح رويس بان كل من يدرك ذلك عليه ان يتوقف عن لوم الآخرين او اصدار الاحكام الاخلاقية عليهم<sup>(2)</sup>. إذن الشر في النسق المثالي هو فعل يجب التكفير عنه في زمان معين ومكان معين، وبحسب رويس غالباً ما يقوم إنسان آخر غير فاعل الشر بفعل التكفير، او يقوم به الفاعل الشرير نفسه في المستقبل ما يؤدي إلى إمكانية ظهور الخير بعد مواجهة الشر والانتصار عليه وتجاوزه<sup>(3)</sup>.

يتضح مما سبق ان رويس قال بالزمن الابدي إلا انه في الوقت نفسه اقر بالماضي والحاضر والمستقبل، يقول كمن يدرك القطعة الموسيقية كاملة إلا انه يعرف ان لها مقدمة ومنتى ونهاية<sup>(4)</sup>. اما الخير والكمال فنلاحظه في الكل او في تلك الابدية بكيفية تشبه تصريح «موتسارت» عن اسعد لحظات عمله الفني تلك اللحظة التي تبرز فيها قيمة العمل كله دفعة واحدة، اللحظة التي يجاوز فيها الزمن ويرى العمل كله دفعة واحدة من اوله إلى آخره. إذ تتمثل كل الحركات التي يحتويها العمل الفني في لمحة واحدة امامه<sup>(5)</sup>. اما تبريره الثاني لوجود الشر، فهو انه ضرورة للإحساس الكامل بالحياة. يقول «ان التشاؤم، اي الإحساس

(1) رويس، جوزيا: العالم والفرد، ج2، ص240 - 241 .

(2) المصدر نفسه، ص247 .

(3) المصدر نفسه، ص255 .

(4) المصدر نفسه، ص242 .

(5) المصدر نفسه، ص110 .



بالخواء الكامل للحياة هو النتيجة الحتمية لكل نظام اخلاقي لا يعترف بالشر»<sup>(1)</sup> فبدون الشر تصبح «الحياة كسولة لا معنى لها»<sup>(2)</sup> ويقول ان «افكار وجود الشر يقضي على إمكانية اي جهد اخلاقي. إذا لم يكن هناك شيء يتطلب الهروب منه او تجاوزه او تحسينه»<sup>(3)</sup> ويستأنف القول «إذا لم يشعر الإنسان بخطر فقدان اللآلئ غالية الثمن فلن تكون لديه حاجة لاي عمليه يحقق بها الخلاص»<sup>(4)</sup> ان بذل ذلك الجهد الاخلاقي - بحسب رويس - يمكن الإنسان من الحصول على شعور السعادة حين تصبح لديه فرصة المشاركة في التكفير عن خطايا الشر ذلك اني لست وحيداً في هذا الكون<sup>(5)</sup>.

ان وجود الشر ومحاربته يمكن ان يكون مساهما فعالا في تحويل الإنسان إلى إنسان خلاق ومبدع، وبالتالي يمكنه من المساعدة على رقي الحضارة الإنسانية. يقول «تساعد هذه الاعمال المتجهة لمحاربه الشر على رقي الحضارة الإنسانية حين تأخذ صورا اجتماعية، وتشكل مواجهة الآلام والامراض والقهر ومداواة الجروح وإنقاذ النفوس من الدمار بعض الفرص الإنسانية. الكبرى للولاء»<sup>(6)</sup>. وتبريره الثالث لوجود الشر يذكرنا بالقول السقراطي الافلاطوني بان الشر ما هو إلا جهل

---

(1) رويس، جوزيا: روح الفلسفة الحديثة، ص 480.

(2) المصدر نفسه، ص 476 .

(3) رويس، جوزيا: الجانب الديني للفلسفة، ص 228 .

(4) رويس، جوزيا: العام والفرد، ج2، ص 259 .

(5) رويس، جوزيا: مصادر البصيرة الدينية، ترجمة احمد الانصاري، مراجعة حسن حنفي، القاهرة، 2007، ص 150.

(6) رويس، جوزيا: العام والفرد، ج2، ص 256 .

بالخير. يقول بان الشر هو مجرد تضيق الوعي او عدم انتباهه او جهلا بالوجوب<sup>(1)</sup>. فالذات المتمردة على الواجب هي مجرد جاهلة لخيرها الحقيقي<sup>(2)</sup>. ولرويس تبرير للشر الذي يتنافى والعدالة الإلهية، طرحه في اكثر من مؤلف له. فكان يرى انه ليس مصدر الشر، بل لان وجوده مرتبط بحياة الآخر<sup>(3)</sup>. إذ رفض رويس الآراء السابقة له، التي فصلت معاناة الإنسان عن الله، ذلك انه كان يعتقد ان تصور الله دون تلك المعاناة يحرمه من تحقيق كماله. ان الوحدة بين الله ومن يعاني تلك الشرور يمكن ان تجعل من يعاني يعي ان المطلق سينتصر من خلاله إذ ما انتصر بمعاناته على الشر وتغلب عليه<sup>(4)</sup>. وهو هنا يقتدي بحادثة - صلب المسيح - فالمسيح - بوصفه رمزاً للإلهية - عانى و صلب ليتحقق الخير - خلاص البشرية<sup>(5)</sup> - وبما ان رويس عاصر فترة العلم وازدهاره، فان استناده على نتائجه يعد امراً طبيعياً، وتلك صفة اصيلة في كل الفلسفة المعاصرة، لذا نجده ناظر مشكلة الشر بما يحدث في علم الاحياء Biology، فكما يدخل الموت في الحياة البيولوجية، يبرر رويس لوجود الشر كجزء في الحياة الاخلاقية. ويمكن ان يكون للفلسفة الوجودية هنا اثر على آرائه في وجود الشر، فمع الوجودية Existentialism يكون العدم ملازماً للوجود<sup>(6)</sup>. وهكذا يكون القضاء على الشر يعني في الوقت نفسه

---

(1) رويس، جوزيا: مصادر البصيرة الدينية، ص156.

(2) رويس، جوزيا: العالم والفرد، ج2، ص239.

(3) المصدر نفسه، ص236.

(4) Royce, Josiah : The world and The individual. p11. p403

(5) Royce, Josiah: studies of Good and Evil, Archon Books, 1898, p14..

(6) Royce, Josiah: The problem of Christionity. Chicago 1913, p380.

القضاء على الشروط المنطقية الضرورية لتحقيق كل خير نعرفه<sup>(1)</sup>. وبناء على كل ما تم طرحه نصل إلى ان رويس لم يكن من القائلين بان الإنسان خيرٌ او شرير بطبعه بل هو نسق ووفق بين الرايين، وبحسب تخريجة التنسيق تلك فان إعجابنا الفعلي بابطال القصص والروايات القتلة لا يعني ان الإنسان يحب الشر بطبعه، بل لان القتل يمكن ان يحقق الانتصار على الشر<sup>(2)</sup>. ان ما طرحناه من تبريرات رويس لوجود الشر لا يعني انه سلم به وانه شر قائم لابد منه، فالشرير عنده مدان<sup>(3)</sup>. ورويس اوجب محاربة الشر والانتصار عليه، في كل مؤلفاته وكما سبق لنا الإشارة، ذلك ان الإنسان لن يحصل على الخير إلا بالتغلب على الشر، ورويس هنا يتبنى ما اطلق عليه هيجل Hegel اسم قانون السلب<sup>(4)</sup>. فالخير ما هو إلا الانتصار على الشر<sup>(5)</sup>. والسؤال الذي يمكن ان يطرح الآن كيف يكون ذلك ممكناً؟ على الرغم من اننا نجد لرويس تصريحاً يصور الإنسان رغم تميزه عن باقي الحيوانات بالوعي إلا انه لم يتوصل بالوسائل التي يمكن بها بلوغ الخير في العالم، وإنما كان هداماً وأكثر الحيوانات تدميراً، وهذه كانت وسيلته لبلوغ الخير وبيان نفوره من الشر! لذلك نجد الإنسان المحارب للشر مدفوعاً دائماً للهدم والصراع من اجل الصراع<sup>(6)</sup>.

نقول على الرغم من تصريحه ذلك. إلا انه في المقابل عول على

(1) الانصاري، احمد: فلسفة الدين عند جوزيا روسي، ص 198 - 199.

(2) رويس، جوزيا : مصادر البصيرة الدينية، ص 166 .

(3) المصدر نفسه، ص 145 .

(4) رايت، وليم كلي: تاريخ الفلسفة الحديثة، ص 475 .

(5) المصدر نفسه، ص 466 .

(6) Royce, Josiah : studies of Good and Evil, p57.

إرادة الإنسان الخيرة يقول «لا يمكن ان تحقق خيرك الاخلاقي إلا إذا كانت ارادتك ذاتها خيرة، فقد تأتي الثروة هبة الحظ، وربما تأتي اللذة من الخارج إذا كان هناك استعداداً لاستقبالها. وقد يحدث الشيء نفسه للخلاص ذاته حين يأتي من «الفضل الإلهي» المنجي، إما الخير الخلقي فانه يتطلب التعاون النشط للحصول عليه. وتستطيع تحقيقه إذا بذلت الجهد للحصول عليه»<sup>(1)</sup> والنص هنا يظهر وسيلة اخرى لبلوغ الخير، غير الإرادة الإنسانية الخيرة، هي التعاون. وذلك راجع إلى ما سبق لنا الإشارة إليه. من ان العالم بحسب النظام المثالي، هو نسق واحد او كل ما يجعل كل خطيئة إنسانية هي خطيئتي، تصيبني وان لم تكن من اختياري، وان اي إنسان لن ينجو من نتائج شرور اخوانه العصاة، ما يجعل التماسك الإنساني والتعاون ضرورة لمحاربتها<sup>(2)</sup>. من الواضح ان تذويب مصدر الشر في الكل، والتركيز على الدعوة لمحاربته والانتصار عليه، ما هي إلا دعوة براجماتية تبحث عن النتائج ولا تبحث عن اصل الفعل ومصدره<sup>(3)</sup>.

بلمحه سريعة يمكننا ايجاز توفيق رويس بين وجود الخير والشر بالقول ان العالم في مجملته خير، ومقدار الشر او الالم او الجريمة في العالم ليس دليلا على عدم الخيرية المطلقة للاشياء، بل يعد ضمانا لها<sup>(4)</sup>. كما ان الشرور التي نصادفها في العالم هي على فئتين،

---

(1) رويس، جوزيا : مصادر البصيرة الدينية، ص 144 - 145.

(2) المصدر نفسه، ص 125.

(3) رويس، جوزيا: العالم والفرد، ج2، ص 255 .

(4) المصدر نفسه، مقدمة المترجم، ص 15 .

شر داخلي - الإرادة الإنسانية الشريرة - وخارجي - الموت، الألم.. - ويمكن التغلب على الشر الداخلي بإدراكنا للرغبة الشريرة وتحكمنا فيها واحتوائها في نظرة شمول. وان كنت شريراً فانا اذان بوصفي كائنا منفصلا وبسبب اذانه شري المستقل تكون الحياة الإلهية التي تحتويني وتحتوي إدانتني وتتغلب عليها حياة خيرة في مجملها .

ومثلما تكون الرغبة الشريرة جزءاً من تكوين الإنسان الفاضل، يكون الإنسان الشرير جزءاً أساسياً من حياة الله. اما الشر الخارجي، فيصل رويس لحله بالاستدلال، ان صح تعبيرنا، فان كانت الخيرية عبارة عن خبرة خلقية، نمارس فيها التغلب على الشر الذي بداخلنا، فان الحياة الإلهية الابدية لابد لها من الخبرة الخلقية ذاتها التي لدينا لتحقيق الخيرية. ويؤكد رويس لنا ان تصور الوحدة المطلقة للحياة الإلهية هو ما قدم لنا الحل الناجع لمشكلة الشر. فلو آمن بالثنائية لما توصل له. إذ لو تم تصور الله كائنا مستقلا منفصلا عن مخلوقاته، يخلقهم خارج ذاته، فان المشاكل التي واجهت المذاهب القديمة القائلة بالعدالة الإلهية ستعود إلى إرباكنا وتعذيبنا<sup>(1)</sup> وفي اشارة واقعية وعملية منه، يؤكد إلى انه لم ينته إلى ما انتهت إليه بعض المذاهب التي املت ان ينتهي الشر يوما، فيعود العالم بريئاً على ما كان عليه ايام عدن ما دامت فلسفته الخلقية بينت ان الخير الخلقي لا يعني اختفاء الإرادة الشريرة، ذلك ان وجودها بصفة عضوية وضرورية داخل الإرادة الخيرية. وعليه فاینما وجدت الخيرية في العالم وجد الشر الخلقي

---

(1) رويس جوزيا، الجانب الديني للفلسفة، ص316

بسبب هذه الوحدة العضوية. فيكون العالم خيراً بالرغم من الإرادة الشريرة ولا يمكنه ان يكون كذلك بدونها مادامت الخبرة الخلقية قد اكدت لنا ضرورة انتصار الإرادة الخيرة على الإرادة الشريرة لحظة ميلادها<sup>(1)</sup>.

التنسيق الثاني: التوفيق بين حرية الإرادة الإنسانية والإرادة الإلهية.

ربما لا يوجد نقد شائع للمثالية اكثر من وصفها بانها ترى العالم كلا عقلياً واحداً، وبالتالي هي لا تسمح بوجود الفردية المتناهية او حرية الفعل الخلقى<sup>(2)</sup> فهل تنتفي حرية الفعل الخلقى في نسق رويس المثالي كذلك؟ اكد رويس لنا بان الإنسان بحسب فلسفته ليس عارفاً فحسب بل وفاعلاً كذلك. ذلك انه «يقال ان الإنسان إذا كان عارفاً فقط، فانه لا يحقق شيئاً ويصبح مجرد ملاحظ للوقائع. في حين بوصفه فاعلاً وفرداً فريداً، فانه يكون المصدر الدائم لكل وجود جديد ويعد خالقاً. فلا توجد قيمة للإرادة وفقاً لهذه الوجهة من النظر ان لم تكن فعالة»<sup>(3)</sup>. وسؤالنا لرويس كيف يكون ذلك وحياتنا - بحسبك - ما هي إلا تفصيلات بداخل تجربة اللوجوس Logos المنسجمة منذ الازل<sup>(4)</sup>؟ كيف يمكن بناءً على ذلك ان نكون احراراً ومسؤولين اخلاقياً مع الوحدة بين المتناهي واللامتناهي، وبين الزمني والابدي، والعالم وكل افراده، والواحد والكثير، والله والإنسان<sup>(5)</sup>؟ الإجابة التوفيقية

---

(1) المصدر نفسه، ص 322 - 323 .

(2) المصدر نفسه، ص 228 .

(3) رويس، جوزيا: العالم والفرد، ج 1، ص 326 .

(4) المصدر نفسه، ص 330 .

(5) رايت، وليم كلي: تاريخ الفلسفة الحديثة، ص 474 .

الاولى لرويس هي انه فرق، كما اشرنا في فقرة سابقة، بين النظام الزمني والنظام الابدي، واكد ان افعالنا تكون مقيدة تماماً من وجهة النظر الزمنية، وحررة تماماً من وجهة النظر الابدية، ففي هذا العالم تعد واقعة من وقائع الزمن «ومقيد بطبيعتك منذ الازل، ولكن النظام الزمني كله، يكون بالنسبة للذات المطلق، الذي تشارك فيه وتعد جزءاً منه مجرد طريق واحد ينظر به للحقيقة. فكل النظام الابدي يكون امامه في لمحة واحدة، والفعل الذي اختار به ليس فعلاً زمنياً، وإنما فعل مجاوز للزمن، ومع ذلك فهو فعل تشارك فيه وتختار هذا العالم الذي يضمك وتعد واقعة من وقائعه»<sup>(1)</sup>. اي عندما تكون لدى المطلق نظره شاملة لكل النظام الزمني الماضي والحاضر والمستقبل - نظره ابدية لكل الاعمال الفردية الحرة - فان معرفة هذه الاعمال تتم مثلما تتم معرفة النغمات المتعاقبة في السمفونية اي في لحظة حدوثها<sup>(2)</sup>، لذا يكون للفرد حريته من خلال وحدته بالوجود وباللله، بينما تعبر إرادة الله عن نفسها من خلاله. وقد سبق ان اشرنا لذلك في حديثنا عن الفعل الاخلاقي الخير والشرير.

إجابة رويس الثانية، هي ان الإنسان يعبر عن إرادته من خلال الطاعة لإرادة الإلهية. مثلما تتم إرادة الله عن طريق الإرادة الإنسانية. فبالنسبة للإنسان تسعى ذاته للمطلق وتحاول معرفته والتعبير عنه ليتم لها التعبير عن إرادتها.

لكنها تشعر بتناقضها والعالم، ما يوجب ظهور مبدا اطلق عليه اسم

---

(1) رويس، جوزيا: العالم والفرد، ج2، ص270.

(2) رويس، جوزيا، روح الفلسفة الحديثة، ص457

- الوجوب - مفاده «عليك ان تحقق الانسجام مع إرادة العالم وتعبر عن ذاتك عن طريق الطاعة. وتحقق الانتصار بقبول مهمتك. فليس العالم إلا إرادتك وقد تحققت وتم التعبير عنها»<sup>(1)</sup>. اما بالنسبة للإرادة الإلهية فانها بفضل فعلي الحر تتحقق الوحدة الإلهية وتتجسد الإرادة الإلهية «حين اقوم بفعل معين او اسعى لتحقيق إرادتي لا اقوم إلا بفعل من افعال الله، ولا اسعى إلا لتحقيق إرادته، ولا اعبر إلا عن الكل ولذلك فالإنسان كائن حر»<sup>(2)</sup>. وحرية الإنسان تبرز في الانتباه او اختيار الانتباه إلى مبدا الوجوب<sup>(3)</sup> المشار له. اي الاختيار بين المتعارضات التي تحدث بين الواجب، والذات المتمردة التي تنساه ولا تنتبه له<sup>(4)</sup>. «فإذا لم يفكر الرجل في شيء إلا فرصته للاختلاس، وسنحت الفرصة، فظلت القدرة المادية على تحقيق الفعل قائمة، بات قيامه بالاختلاس شيئاً مؤكداً. من ناحية اخرى، إذ ما فكر في طاعة النفس وفي شرفه والرابطة التي تربطه بالله. فان الفعل يظل معطلا. يتم كبج الذات الشريرة وتسيطر الذات العاقلة عليها»<sup>(5)</sup>. مع اهمية الإشارة إلى ان رويس لا يعد السلوك الإنساني المتمرد الذي لا يختار الواجب ويسلك الطريق إلاثم سلوكاً فاسداً بصورة كلية<sup>(6)</sup>. ذلك ان لا شر مطلق بحسبه كما بينا. فيلسوفنا اكد على اهمية الحرية والاختيار الإنساني من خلال

(1) المصدر نفسه، ص233.

(2) المصدر نفسه، ج1، ص350

(3) المصدر نفسه ج2، ص244

(4) المصدر نفسه، ص238

(5) المصدر نفسه، ص136-137

(6) المصدر نفسه، ص239



مقولته الآتية: - اننا حين نختار لانفسنا فاننا نشارك الذات الذي قد اختار هذا العالم من بين العوالم الممكنة التي لا حصر لها<sup>(1)</sup>.

ان الحرية الاخلاقية تمكن الفرد من تغيير عالمه إلى الافضل او إلا سوا، على الرغم من كمال العالم، وخيرية الكل<sup>(2)</sup>. والحرية الاخلاقية - بحسب رويس - لا تستقيم بانفصال الافراد عن بعضهم البعض، فافعال الناس تتأثر ببعضها، ما يجعل المسؤولية الاخلاقية جماعية. إذا لم يعق الفرد من افعال الآخرين لا يستطيع مساعدتهم او تقديم الخير لهم<sup>(3)</sup>. إلا انها، من جهة أخرى، تساهم في تأكيد الفردية. فما دام الإنسان مريداً ومختاراً يستطيع ان يدرك المعنى الحقيقي لهدفه المتفرد ومعناه. فانهمض إذن ايها الإنسان الحر، واحتل مكانك في العالم، فالعالم عالمك، مثلما هو عالم الله في الوقت نفسه<sup>(4)</sup>. ويقول «تتمثل حريتك هنا والآن في تفرد فعلك، فليست إلا قدرتك الفريدة التي لا يمتلكها غيرك»<sup>(5)</sup>. ثم ينتهي إلى القول بان «ليست مشكلة الحرية إلا مشكلة الفردية. فإذا كنت ذاتا ولست فرداً آخر، واعبر في الوقت نفسه عن هدف محدد فأنني اكون إنساناً حراً»<sup>(6)</sup>. ومن التلازم بين الحرية الاخلاقية والذات الفردية، تنتقل إلى البحث في كيفية حفاظ الذات على تفردها وسط الآخر والكل.

---

(1) رويس، جوزيا : روح الفلسفه الحديثه، ص462

(2) الانصاري، احمد : فلسفة الدين عند جوزيا رويس، ص189

(3) رويس، جوزيا : العالم والفرد ج2 مقدمة المترجم ص14

(4) المصدر نفسه، ص351

(5) المصدر نفسه والصفحة نفسها

(6) المصدر نفسه ج2، ص323

يعرف رويس الوجود الفردي، بأنه الوجود المتفرد في نوعه الذي لا يوجد آخر من فئته<sup>(1)</sup>. وقد اقر رويس بتفرد الفرد وبعدم وجود آخر او شبيه له يقول «إذا كان «سقراط» فرداً، فلا يوجد إلا سقراط واحد في العالم. وإذا كنت فرداً لا يوجد في العالم كله فرد آخر يمكن ان ياخذ مكانك او يحل محلّك»<sup>(2)</sup>. بل ان الإله يفرض على الإنسان إثبات فرديته «تفرض الروح الإلهي عليك التفرد والذاتية والشخصية اي تامرك بان تكون فرداً حراً»<sup>(3)</sup>. إلا انه من جهة اخرى اقر بضرورة الآخر «ترغب حياتنا في «الآخر» المكمل لها»<sup>(4)</sup>. وذلك لاسباب وضحاها لنا في مؤلفاته، اهمها ان الذات لا يمكن ان تشعر بتفردھا إلا من خلال الارتباط الوثيق بما يجاوز معنى الفرد المحدود وحياته<sup>(5)</sup>. وذلك لان المعنى الحقيقي للتفرد لا يظهر إلا من خلال التنوع مثلما لا يظهر المعنى الحقيقي للصداقة إلا بين مجموعة من الاصدقاء المختلفين في الطباع والرغبات<sup>(6)</sup>. إضافة إلى ان الانا لا تشعر بالاستقلال إلا من خلال الآخرين والمقارنات الاجتماعية<sup>(7)</sup>. ويرى باننا «كائنات مقلده، ونحب ابناء جنسنا ونتنافى معهم في الوقت نفسه، ونفقد قيمتنا

---

(1) المصدر نفسه ج1، ص 341 .

(2) المصدر نفسه، ص 230 .

(3) المصدر نفسه، ج2، ص 199.

(4) المصدر نفسه، ص 125

(5) المصدر نفسه، ص 186 .

(6) المصدر نفسه، ص 189 .

(7) المصدر نفسه، ص 182 .

إذا عزلنا عنهم»<sup>(1)</sup>. ان الإنسان - بحسبه - يعتمد على اقرانه لتحقيق شخصيته الاخلاقية والمعنوية<sup>(2)</sup>. كما ان الفرد لا يمكنه ان يحقق هدف حياته إلا من خلال وجود الآخرين وتنوعهم «كما يجسد الخصم في المباراة إرادتي في اللعب معه، ويحقق فرصتي في الشعور بذاتي من خلال تجسيده لإرادتي، فان الذات الخاصة لا تكون ذاتا إلا من خلال المقارنة مع الذوات الاخرى والاعتماد عليهم»<sup>(3)</sup>. والاهم ان الإنسان لا يستطيع تحقيق خلاصة إلا من خلال الآخر<sup>(4)</sup>. ان الذات تستمد من الآخر كل شيء ما عدا تفردھا واسلوبھا المتفرد في الحياة<sup>(5)</sup>. ان اهتمام رويس بالآخر وإبرازه لاهميته في حياة الفرد كان نتيجة تعليمه في طفولته من قبل معلمته بان خلاصه لن يتم إلا من خلال الجماعة، وقت كان مقاوما ومتمرداً على روح الجماعة<sup>(6)</sup>. وقد اعتمد المنطق لإثبات بعض آرائه الفلسفية، وإثبات اهمية الاخر بالنسبة للفرد يقول «المطلق اشبه بسلسلة الاعداد : 1، 2، 3 والنفوس الإنسانية اشبه بالارقام المربعة مثل المتتابعة الهندسية، فرقم (2) مثلاً لا وجود له بدون سلسلة الاعداد، وفي نفس الوقت تحتفظ لنفسه بالاستقلال»<sup>(7)</sup>. ويرى ان عدم شعورنا بالآخر هو نتيجة رغبة اجدادنا التي توارثناها في صراعهم من

(1) رويس، جوزيا : مصادر البصيرة الدينية، ص126

(2) رويس، جوزيا : العالم والفرد ج1، ص321 .

(3) المصدر نفسه ج2، ص200 .

(4) رويس، جوزيا، مصادر البصيرة الدينية، ص55 .

(5) رويس، جوزيا : العالم والفرد ج2، ص199

(6) جيرار، ديلو دال : الفلسفة الامريكية، ص251 .

(7) رويس، جوزيا مبادئ المنطق، ترجمة احمد الانصاري، مراجعه حسن حنفي، ط2، مصر، 2009،

اجل البقاء<sup>(1)</sup>. إضافة إلى ان غرائز الإنسان غالباً ما تدفعه إلى الاستمتاع والتلذذ من حرمان جاره<sup>(2)</sup>. إن إبرازه لاهمية الآخر بالنسبة للفرد، لا يعني انه آراد ان يذوب فيه. فكما سبق واشرنا، انه أكد اهمية الفردية، وكان دائم التأكيد بأن الذات الإنسانية دائمة السعي للكمال عن طريق افعالها، اي لها هدف، وهدفها يتباين مع اهداف الآخر وذلك هو ما يشكل فرديتها<sup>(3)</sup>. يقول «قيامي بالفعل يجعل إرادتي فريدة مثل الحياة الإلهية كلها»<sup>(4)</sup>. فالطفل، على سبيل المثال، في مراحل الأولى، اي من السنة الأولى حتى الخامسة، يقوم بمحاكاة الآخرين وتقليدهم ولا يكون ذاته ويبدأ بوعيه ويشعر بالسعادة إلا عندما يقوم بفعل يمكنه من عرض نفسه امام الآخرين<sup>(5)</sup>. فرغم ان الذات تعتمد على الله والطبيعة والآخرين في امور كثيرة إلا انها لا تستمد فرديتها إلا من ذاتها<sup>(6)</sup>. وهنا هو يشبه فلاسفة الوجودية القائلين بان الإنسان هو من يحقق ذاته من خلال فعله. إلا انه اختلف معهم في القول ان الذات لا يمكنها الفعل وبالتالي تحقيق استقلالها إلا وفق مشيئة الله وإرادته. فالذات حياة تحقق فرديتها عن طريق علاقتها بالله، لكنها تحيا في الله بوصفها فرداً وتعبيراً فريداً عن الهدف الإلهي، لذلك هي إرادة حرة<sup>(7)</sup>.

لكن ما هو الفعل الذي يمكن لذاتي ان تتحقق بالفعل من خلاله

(1) رويس، جوزيا : الجانب الديني للفلسفة، ص133

(2) المصدر نفسه، ص79

(3) رويس، جوزيا : العالم والفرد ج2، ص275

(4) المصدر نفسه ج1، ص350 .

(5) المصدر نفسه ج2، ص181 .

(6) المصدر نفسه، ص195 .

(7) المصدر نفسه، ص194 - 195

؟ بحسب رويس انه الولاء Loyalty ولا شيء غير الولاء، مع الولاء يمكن للإنسان ان يجد حياته، إرادته، فرصته لتحقيق ذاته، واكتمال وجوده<sup>(1)</sup>. فما هو الولاء؟ الولاء اسم بمعنى القرب او النصرة او المحبة او الطاعة او الإخلاص<sup>(2)</sup>. وفي اللغة هو مصدر المولى والموالي، اي اتخاذ المولى<sup>(3)</sup> وللواء انواع منها السياسي والشرعي والوظيفي والتنظيمي... اما تعريف رويس له فجاء على مرحلتين الاولى عرفه تعريفاً اولياً بالقول انه «التفاني الإرادي والمستمر من فرد ما تجاه قضية معينة»<sup>(4)</sup>. والقضية - بحسبه - هي ما «يوحد كثيراً من الحيوانات الإنسانية في حياة واحدة»<sup>(5)</sup>. وفي مرحلة لاحقه عرف رويس الولاء بانه «إرادة الاعتقاد في شيء ابدى والتعبير عن هذا الاعتقاد في الحياة العملية لكائن إنساني»<sup>(6)</sup>. ومن منطلق المفكر الموضوعي اعترف رويس ان كلمة الولاء قديمة، والفكرة العامة عنه اسبق زمنياً من الكلمة نفسها بل واكثر قيمة، وان القليل من يعرف معناها الحقيقي<sup>(7)</sup>. ان بداية الولاء مع بداية الحضارة الإنسانية، بدا تأثيره منذ عقدت اول مجموعة متحاربة اول هدنة مؤقتة لوقف القتال، فكانت النسبة العاقلة منهم هي التي وضعت<sup>(8)</sup>.

(1) رويس، جوزيا، فلسفة الولاء، ص 51 .

(2) www.almaany.com .

(3) ar.wikipedia.com .

(4) رويس، جوزيا : فلسفة الولاء، ص 187 .

(5) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(6) المصدر نفسه، ص 190 .

(7) المصدر نفسه، ص 30 .

(8) المصدر نفسه، ص 95 .

يصرح رويس ان فلسفته في الولاء تقدم نظرية عن نوع معين من الوعي، يؤدي تماماً، وظائف الضمير التقليدي نفسها<sup>(1)</sup>. ويؤكد ان النظام الاخلاقي يمكن ان يؤسس ويقوم عليه، ذلك ان العدالة والمحبة، والحكمة والواجب والحياة الروحية كلها مصطلحات يمكن ان تكون قابلة للتعريف في ضوء مفهوم عقلي له<sup>(2)</sup>. وبحسب توفيقيته التي عرف بها فانه اشار لنا بانه ليس فطرياً ولا مكتسباً عندما قال «لا يمكن لنا اكتسابه، إلا إذا كان لدينا استعداد فطري نحو المعقولة»<sup>(3)</sup>، وكيفية ذلك ستتضح في سياق البحث.

عدّ رويس الولاء راس الفضائل، والواجب الرئيس بين كل الواجبات، وروح الاخلاق العاقلة لماذا؟ يجب لان به يستطيع الإنسان الخلاص إذ يوفق «بين قول الاخلاقيين بالافعال طريقا للخلاص وقول المؤمنين بالفضل الإلهي»<sup>(4)</sup>. لذلك كان جوهره - بحسب رويس - عقيدة ودنيا<sup>(5)</sup>.

كما إنه يقدم حلاً لاصعب مشكلات الإنسان العملية، مشكلة لاي شيء احيا؟ ولماذا انا هنا؟ ولماذا افعل الخير؟ ولماذا هناك حاجة لوجودي<sup>(6)</sup>؟. والسؤال هنا كيف ذلك؟ وما هي مهمة الولاء التي يتسم بتلك

---

(1) المصدر نفسه، ص 111.

(2) المصدر نفسه، ص 38.

(3) المصدر نفسه، ص 112.

(4) رويس، جوزيا : مصادر البصيرة الدينية، ص 15.

(5) المصدر نفسه، ص 139.

(6) رويس، جوزيا : فلسفة الولاء، ص 57.

السمة؟ اننا مخلوقات الدوافع والاهواء والرغبات المتصارعة، لذلك يجب ان يكون هدفنا الاعلى في الحياة هو الانتصار على فوضى الطبيعة وتحقيق الوحدة لرغباتنا والوصول للسلام<sup>(1)</sup>. ويتم ذلك من خلال تمسكنا بقضية ما، يمكن ان تعمل على تحقيق ذلك الانسجام بين البشر، قضية نهبها كل ولأئنا، ذلك ان اي إنسان - بحسبه - «لم يختر قضية يخدمها لم يصل بعد إلى العقلانية او إلى ذاته العاقلة، ولا يمكن وصفه بأنه كائن اخلاقي»<sup>(2)</sup>.

ويرى ان «اللعب النظيف في الرياضة، واحترام روح الشجاعة في الحرب، والتسامح تجاه المعتقدات الصادقة لدى الآخرين، كلها قضايا، وفضايا تعد صورا متغيرة ومتعددة للولاء»<sup>(3)</sup>. إلا انه فضل ان يتمسك الإنسان بقضية واحدة، قضية اسمى، يمكن ان توحد البشر من جهة، وتكون جامعة لكل صور الولاء الاخرى، قضية نختارها بانفسنا، لاسيما وان القضايا التي تختارها التقاليد او يختارها المجتمع قد توصل إلى صراع الولاءات. القضية التي نصحنها رويس التمسك بها هي قضية - الولاء للولاء نفسه<sup>(4)</sup> - .

يقول عن هذه القضية انها ذاتية طالما تخصني وتخص اناسا آخرين، وغير شخصية في الوقت ذاته، إذ ما نظرنا لها من وجهة نظر إنسانية بحتة، ذلك انها تربط نفوسا إنسانية عدة في وحدة اجتماعية

---

(1) رويس، جوزيا : مصادر البصيرة الدينية، ص 41-42 .

(2) رويس، جوزيا : فلسفه الولاء، ص 126 .

(3) المصدر نفسه، ص 103 .

(4) المصدر نفسه، ص 87.

علياً<sup>(1)</sup>. وكان يرى ان اسوا المعارك التي يمكن ان يواجهها الولاء، ومن اكثر شرور الإنسانية ومصائبها. هو ان تسلب ولاء الآخرين<sup>(2)</sup>. - صراع الولاءات - ويمكن التخلص من ذلك الصراع - بحسب رويس - وتحقيق اكبر قدر من الانسجام بالتالي وذلك بطريقتين:

الاولى: هي ان اقول لاي قضية من القضايا التي ارتبط بها وارغبها بطبيعتي او لقضايا الاخر، عزيزتي لا استطيع ان احبك حبا شديداً، بهذه الروح الودية يتجه ولأني إلى توحيد القضايا المختلفة في نسق واحد وإلى قضية واحدة<sup>(3)</sup>. والطريقة الثانية والاهم هي ان يكون ولأني للولاء نفسه، على ما اشرنا، لان وقتها ساعمل على دعم ولاء قضيتي وقضايا الغير<sup>(4)</sup>.

وان حصل واخترنا قضية تضمنت نوعاً من عدم الولاء للولاء، كالإخلاص لقائد اكتشف فيما بعد خيانتة للقضية الإنسانية، او ان اعرف عدم قدرتي على ان اكون كاتباً جيداً، او حارساً ناجحاً، فيحق لي ترك القضية التي اخترت الولاء لها، ذلك ان تبديد طاقتي، في عمل لا يناسبني، يعد نوعاً من عدم الولاء للولاء<sup>(5)</sup>. وينصح رويس بان لا نتخلى عن قضية إلا من اجل ولاء اعلى، واكثر عمقاً يتطلب بالفعل ذلك التخلي<sup>(6)</sup>.

---

(1) المصدر نفسه، ص55.

(2) المصدر نفسه، ص81.

(3) المصدر نفسه، ص92.

(4) المصدر نفسه، ص85.

(5) المصدر نفسه، ص116.

(6) المصدر نفسه، ص102.



قد تطرح مسألة الولاء سؤالاً ملحاً مفاده، هل ان رويس الغى الفردية لصالح الغيرية ؟ بالتأكيد لا، فكما سبق واشرنا، ان ذاتنا الفردية لا تتحقق إلا به. كما ان رويس يؤكد انه من اصحاب النزعة الفردية في الاخلاق «وبالتالي لا تتصور انني اسعى لإقامة نوع من الحياة الخلقية العامة، بوصفها مثلاً اعلى مضاداً للنزعة الفردية المعارضة للولاء»<sup>(1)</sup>.

وفلسفة رويس في الولاء ليست نظرية بل عملية<sup>(2)</sup>. ويعطينا مثالا على ذلك ما حدث لليابان في عصر الإصلاح الحديث عندما تحولت الولاءات القبلية إلى الولاء للامة، وانتشار المثل الاعلى للبوشيدو<sup>(3)</sup> Bushido ما جعل ذلك التحول السريع والرائع لليابان نتيجة تحقيق الوحدة في روح الامة<sup>(4)</sup>.

يصف رويس الولاء بالعقلانية، ويؤكد انه ليس هبة ارسطراطية تخص قلة من الناس، هو يشمل المتعلم وغير المتعلم، الغني والفقير.... وان كان يبدو عند القلة اليوم فذلك، بحسب رويس، يرجع إلى التربية الاخلاقية الحاضرة، وإلى النظام الاجتماعي الذي اهمل التدريب عليه وقلل من شأنه<sup>(5)</sup>. لذلك نجد فيلسوفنا قد بادى بطرح الخطوات التي يمكن ان تساعد في زرعها عند الناس. على

---

(1) المصدر نفسه، ص 67.

(2) المصدر نفسه، ص 187.

(3) (\*) طريق المحارب: هي مجموعة من القوانين الاخلاقيه التي كان يتبعها المحاربون في اليابان اثناء العصور الوسطى تم تدوينها فتره ايدو (1603 - 1867) تاثرت هذه التعاليم بمذهب زن البوذي والعقيدة الكونفوشيوسيه.

(4) المصدر نفسه ص 64.

(5) المصدر نفسه، ص 84.

الرغم من قوله ان الولاء ينتقل بالعدوى، ولا يصيب المشاركين معك في القضية فقط، وإنما ينتقل لكل من يعلم به، فهو خير ينتشر في كل الاتجاهات<sup>(1)</sup>. وان تمسكنا بالولاء الجاد لقضايانا هو الكفيل بنقل تلك العدوى<sup>(2)</sup>. يقول بعملك وتأثيرك وحبك للولاء يمكن ان تعمل على انتشاره بين الناس<sup>(3)</sup>. نقول على الرغم من قوله هذا، إلا انه طرح لنا الخطوات التي يمكن ان تساهم في انتشاره في المجتمع. وطالب الدولة والعلم والفن بالذات للمساهمة في مهمته تلك<sup>(4)</sup>. خاصة وانه يؤكد باننا كنا ومازلنا كائنات ناقصة عمياء<sup>(5)</sup>. والنمو المعرفي وحده الذي يمكن ان يعزز الولاء في المجتمع وفيما يلي سنبين الخطوات التي طرحها لذلك:

يمكن غرس روح الولاء الاولى من خلال عملية التربية ذاتها، إذ يقدر الاطفال ولاءنا تجاههم، بعد ذلك يتعلمون واجبههم الخاص بهم. في المرحلة التمهيدية يمكن غرسه بتعليم الاطفال المحبة والطاعة والاهتمام المستمر بانشطة معينة والقدرة على الصبر والتحكم الذاتي. يقدم لنا الاطفال صورة اولية للولاء من عالم خيالهم عندما يمثلون دور الإبطال او يحلمون بالاعمال العظيمة ... وكل ما علينا الاهتمام بتلك الصورة وترسيخها فيهم<sup>(6)</sup>.

---

(1) المصدر نفسه، ص 94 .

(2) المصدر نفسه، ص 102 .

(3) رويس، جوزيا : مصادر البصيرة الدينية، ص 137 .

(4) رويس، جوزيا : الجانب الديني للفلسفة، ص 171.

(5) المصدر نفسه، ص 142 .

(6) رويس، جوزيا : فلسفة الولاء، ص 146-148.

في مرحلة الشباب، ينخرط الشباب في نشاطات معينة - كحياة الاخوة في المدارس والفرق الرياضية - وهنا يجب تعزيز روح الولاء لتلك الحياة وتجنب اي مفاسد يمكن ان تحدث فيها<sup>(1)</sup>.

التدريب على الولاء في مرحلة النضج يمكن ان يكون من خلال التأثير الشخصي للقادة، ومن خلال عملية تحويل القضية إلى مثل أعلى - تعقيل القضية<sup>(2)</sup>.

تقليل الغربة التي يشعر بها الناس تجاه نظامهم الاجتماعي<sup>(3)</sup>.

التأكيد على ما اسماه - بالروح الريفي - لدى الناس، اي تربية ابناء ولاية ما على تقديس العادات والتقاليد، وتكريم البررة منهم، والتأكيد على الملكية العامة كإنشاء المكتبات العامة، والاندية، والمنتزهات، والجامعات. باختصار اكد رويس على عدم اقتصار الاهتمام بالعواصم الرئيسة، بل ابداء الاهتمام ذاته للريف واهله<sup>(4)</sup>.

اما تحقق الولاء كاملا، فلا يمكن برايه، إلا من خلال التضحيات التي يقوم بها الفرد لخدمة القضية<sup>(5)</sup>. إضافة لهذه الوسائل التي طرحها في مؤلفة فلسفة الولاء، هنالك وسيله اكد عليها في كل مؤلفاته هي تربية جيل يزيد فيه عدد من يمتلكون البصيرة الخلقية، فما قصده بهذه البصيرة وما عملها؟ البصيرة insight جمعها بصائر، وهي قوة الإدراك

---

(1) المصدر نفسه، ص 149 .

(2) المصدر نفسه، ص 156 .

(3) المصدر نفسه، ص 140 .

(4) المصدر نفسه، ص 140 - 141 .

(5) المصدر نفسه، ص 164 .

والفطنة<sup>(1)</sup>. وهي مشتقة من البصر إلا انها اهم وادق واشمل واوسع منه، هي قوة خفية او ملكة وهبها الله للإنسان لادراك حقائق الاشياء او الجوانب الخفية من الموضوعات<sup>(2)</sup> والبصيرة لغة هي الإدراك، العقل، الدليل، الحجة. واصطلاحاً هي انفتاح عين القلب، سعة الإدراك، وهي القدرة على النفاذ إلى كنه الامور وخفايا المعضلات<sup>(3)</sup>. وهي غير الحدس intuition فهي اعمق منه بكثير<sup>(4)</sup>. والبصيرة - بحسب رويس - هي اسم معين من المعرفة ولدرجة معينة منها، تمكن من إدراك مجموعته معينة من الوقائع وضمها في كل واحد، وفي الوقت نفسه، تجعلنا على علاقة وثيقة وشخصية بهذه الوقائع وبالكل الذي يضمها<sup>(5)</sup> ويقول عنها بانها القاضي الذي يحكم على اعمالنا ومثلنا العليا<sup>(6)</sup>. اما عملها فهو انها تعرف صاحبها، بمجرد اكتسابها، بان مصيره لا يرتبط بذاته وإنما بالحياة من حوله او بالحياة المثالية لله<sup>(7)</sup>. كما ان الإنسان بدونها لن يمارس الخيرية عن وعي ما دام «مسجوناً في إرادته الفردية، فانه لا يمارس الخيرية عن مقصد ووعي واضح بها، وان كان قد يمارسها بصورة غريزية الامر الذي يجعله يعتمد على التقاليد التي غالباً ما تكون غامضة، وعلى الضمير الذي غالباً ما يكون متميزاً او

---

(1) معلوف، لويس : المنجد في اللغة والآداب والعلوم، ط19، بيروت، 1966، ص40.

(2) [www.kasnazan.com](http://www.kasnazan.com).

(3) [ar.wikipedia.org/wiki](http://ar.wikipedia.org/wiki).

(4) [www.hrdiscussion.com](http://www.hrdiscussion.com)

(5) رويس، جوزيا : مصادر البصيرة الدينية، ص18 .

(6) رويس، جوزيا : الجانب الديني للفلسفة، ص109 .

(7) المصدر نفسه، ص176 .

قاسياً، وعلى ايمان غامض وعلى العاطفة التي تعد اسوا انواع وسائل الإرشاد»<sup>(1)</sup>.

البصيرة الخلقية تعلمنا وتهدينا إلى ان نقوم بالاعمال التي توافق الحياة الفردية والاجتماعية معاً «يقدم لنا العقل البصيرة الخلقية، ويصوغها الفهم العام الخلقي والفلسفي في القاعدة القائلة بان عليك القيام بالفعل الذي لا يمكن ان تندم عليه حين تراجع معنى حياتك الفردية والاجتماعية ولا على المبدأ الذي سلكت بناء عليه»<sup>(2)</sup>. والفعل الذي لا يمكن الندم عليه - بحسب رويس - هو الفعل وفق مبدأ الولاء. فالبصيرة تعلمنا ان لا نقول احب لجارك ما تحب لنفسك فقط. بل تعلمنا القول اسلك كما لو كنت انت وجارك شيئاً واحداً، وانظر إلى حياتكما كما لو كنت تنظر إلى حياة واحدة<sup>(3)</sup>. فهناك حجاب من الوهم يجعل من جارنا، على سبيل المثال، شيئاً لا ذاتاً، ووحدها البصيرة التي تساعدنا على التخلص من تلك الحالة وتجعلنا ندرك انه ذات حقيقية كذاتنا<sup>(4)</sup>. اننا نحتاج البصيرة لنرى الحياة بعامة وبصورة شاملة، لاننا من دونها نرى جزءا او جانبا منها فقط<sup>(5)</sup>.

يدلنا رويس ان اول مراحل البصيرة الخلقية هو الشك الخلقي،

---

(1) المصدر نفسه، ص 143 .

(2) رويس، جوزيا : مصادر البصيرة الدينية، ص 129 .

(3) رويس، جوزيا : الجانب الديني للفلسفة، ص 126 .

(4) المصدر نفسه، ص 133 .

(5) رويس، جوزيا : مصادر البصيرة الدينية، ص 45 .

ذلك انه الصورة الاولى لها<sup>(1)</sup>. والشك هو المنهج الذي اعتمده رويس في دراسته للاخلاق يقول «المذهب الشكي الذي نصر على التمسك به يعد اساساً ضرورياً للاخلاق»<sup>(2)</sup>. فهو من يجعلنا ندرك الإرادات المتصارعة، ما يجعلنا نمتلك إرادة حقيقية تساعدنا على التنسيق بين هذه الإرادات في وحدة واحدة تسعى لانهاء، صراعها<sup>(3)</sup>. ينصحنا رويس ان نشك دون خوف او تردد، وذلك ما تعلمه من كلمات احد اصدقائه الذي تآثر به في شبابه، والتي قال فيها «ان الله يحب ويرغب منا في الشك في وجوده، إذا ما كان شكنا نشطا اصيلا ومخلصاً»<sup>(4)</sup>. وكان يرى بانه «لا يمكن الوصول إلى الافكار الإنسانية الجادة إلا من خلال الشكوك»<sup>(5)</sup>. والشك - بحسبه - «لا يعد دليلا على العجز والضعف الفكري وإنما دليل على توهج الفكر الفلسفي وثراء روحه»<sup>(6)</sup>. الشك الذي اراده رويس هو من النوع البناء لان هدفه لم يكن الهدم لاجل الهدم بل لاجل بناء مذهب جاد، يقول «لقد كنا في حاجة لفحص الشك الاخلاقي لاختبار مدى صلابة وقوة الشكوك حتى نستطيع معرفة مناهج جديدة لبناء مذهبنا الاخلاقي»<sup>(7)</sup>. ذلك انه كان يعي بان «الشك من اجل الشك، والذي لا يستند إلى ادلة،

---

(1) رويس، جوزيا : الجانب الديني للفلسفة، ص 139 .

(2) المصدر نفسه، ص 68 .

(3) المصدر نفسه، ص 155 .

(4) المصدر نفسه، ص 180 .

(5) رويس، جوزيا : روح الفلسفة الحديثة، ص 152 .

(6) المصدر نفسه، ص 153 .

(7) رويس، جوزيا : الجانب الديني للفلسفة، ص 115 .

يعني دائما موت العقل، بينما الشك القائم على اسس صلبة، والقادر على نقد ذاته وملاحظة نفسه مثل ملاحظته لاي موضوع آخر، يحرك وينعش الدورة الدموية للفلسفة»<sup>(1)</sup>. والشك لا يستقيم إلا مع النقد، لذلك نجده اولى للنقد الاهمية ذاتها التي اولها للشك، إذ عد النقد الصادق الصحيح واجبا<sup>(2)</sup>. ويتضح من قوله بالنقد الصحيح الصادق انه لا يقصد النقد السلبي غير الهادف يقول «النقد الذي ندافع عنه ليس ذلك النوع من النقد، الذي يحقق نوعاً من الرضا الذاتي للناقد، وإنما ذلك النقد الذي يقف حائلا امام كل انواع الرضا الذاتي التي تحجب البصيرة»<sup>(3)</sup>. ويجانب رويس الحكمة الاخلاقية القديمة التي تقول بان الصديق الحقيقي هو من يعرفني على عيوبي، عندما ينصحنا بان نتخذ الناقد اهم اصدقائنا<sup>(4)</sup>. انه يعتمد إلى الدراسة النقدية لان الفلسفة في جوهرها ما هي إلا نقد الحياة<sup>(5)</sup>.

بعد الشك والنقد وتكوين البصيرة الخلقية يولد الإنسان الخلق الذي رغبه رويس، الإنسان الجديد القادر على الابصار بقوة وكمال. فالمسألة هنا تصور «إنسانا اعمى يحيا وسط مجموعة من العميان وقد استطاع فجاءه، وبصورة سحرية، ان يغتسل في نافورة سحرية وان يحصل على القدرة على الابصار للمرة الاولى بافضل صورها وقوتها

---

(1) المصدر نفسه، ص 116 .

(2) المصدر نفسه، ص 147 .

(3) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(4) المصدر نفسه، ص 148 .

(5) رويس، جوزيا : فلسفة الولاء، ص 37 .

وكمالها»<sup>(1)</sup>. وقد تمنى على ذلك الإنسان الذي حصل على البصيرة إرشاد الآخرين من العميان، ما يذكرنا برجل الكهف عند افلاطون الذي كان مقيد بقيود الجهل وعندما تهيأت فرصة التحرر وإدراك نور المعرفة، توجب عليه العودة إلى الكهف ليعلم الآخرين بما عرفه.

ان الهدف النهائي من البصيرة الخلقية - بحسب رويس - هو تنظيم الحياة وتحقيق التقدم الإنساني<sup>(2)</sup>.

وبعد استعراضنا للتنسيق الاخلاقي الذي نظر له رويس في فلسفته الاخلاقية، بقي علينا بيان غايته من كل ذلك.

### ثالثاً:- غاية التنسيق

بكلمة نقول ان غاية رويس من التنسيق الذي عبرت عنه فلسفته الاخلاقية هو المجتمع المنسجم الذي طمح إليه، فقد جعلت فلسفته من المجتمع محورها، رفعت من شأنه إلى حد التاليه<sup>(3)</sup>. وإذا كان من المعروف بان كل من يكتب في المجتمع غالباً ما يكون مغترباً عنه لانتمائه إلى فئة تعد من الاقلية فيه او لاسباب اخرى، فتاتي كتاباته إسقاطاً لالم الماضي، خاصة في فترات الطفولة والشباب، فان سبب اهتمام رويس بالمجتمع وجعله غاية لفلسفته هو لتلك الاسباب بالذات. إذ كان ابناً لوالدين انجليزيين هاجرا إلى اميركا عام 1849 في الفترة التي اكتشف فيها الذهب في كاليفورنيا ما جعله ينشأ في «مجتمع يسوده الاضطراب والفوضى، ويتالف من الباحثين عن الذهب ومن

---

(1) رويس، جوزيا : الجانب الديني للفلسفة، ص 142 .

(2) المصدر نفسه، ص 167 .

(3) المصدر نفسه، ص 9 .



مستوطنين غلاظ ويائسين. وعندما جاء لدراسته الفلسفة، اطلع على الجدية الهادئة للمذهب المثالي الالمانى. ويمكننا ان نفهم في الحال لماذا نظر إلى النظام، والسلام، والامن وهو يطور مذهبه الخاص على انها اهداف الحياة الاجتماعية<sup>(1)</sup>. كما انه عندما انتقل بداية عام 1866 إلى الدراسة في احدى المدارس الخاصة من كلفورنيا إلى سان فرانسيسكو «شعر لأول مرة في حياته، بمدى سلطة المجتمع على الفرد، لما عاناه من ندرة الاصدقاء بسبب اللون الاحمر لشعره، ولعدم معرفته لا لعابهم، فكون انطباعاً كثيباً عن المجتمع»<sup>(2)</sup>. وكل ذلك شكل دوافعه للرغبة بمجتمع منسجم ومثالي. وكانت فلسفته الاخلاقية وسيلته لبلوغ ذلك المجتمع، إذ صرح انه طرحها لمن يعاني كثرة وتعقد مشكلاته السياسية والاجتماعية، لذلك وجد ان تبسيط المبادئ الاخلاقية للناس وتنقية العقول للنور الابدي يعد عملاً غاية في الاهمية<sup>(3)</sup>. ان العلاقة بين المجتمع والاخلاق لا تحتاج إلى برهان، فالحاجة للاخيرة تنتفي لو عاش الإنسان لوحده في صحراء او جزيرة... ومن هنا نجد ان معظم الابحاث في فلسفة الاخلاق تستهدف المجتمع وتنتهي بمحاولة جعله افضل. والسؤال هو كيفية ذلك او ماهية الوسيلة التي يمكن ان توصلنا لذلك الهدف؟. وقد اختلفت الوسائل المطروحة باختلاف من بحث في فلسفة الاخلاق، ذلك الاختلاف الذي نشأ من اختلاف مشاربهم وبيئاتهم والمدارس

---

(1) رايت، وليم كلي، تاريخ الفلسفة الحديثة، ص 362 - 363 .

(2) رويس، جوزيا : الجانب الديني للفلسفة، ص 5 .

(3) رويس، جوزيا : فلسفة الولاء، ص 31 .

والمذاهب والاتجاهات الفلسفية التي ينتمون لها. ان ما يميز فلسفة اخلاقية عن اخرى هو مدى نجاعة الوسيلة المطروحة، والامر هنا لا يعتمد على الاهواء والرغبات... بل على دنو الوسيلة او بعدها عن واقع المجتمع، بعبارة اخرى إمكانية تطبيقها عملياً للوصول بالمجتمع للغاية المرجوة. ومن هنا، كلما قلت تلك الإمكانية احيلت فلسفة الاخلاق إلى مجرد فلسفة نظرية عقيمة. بينما تحيلها زيادة فرص تطبيقها إلى فلسفة اخلاقية عملية فاعلة. وسيلة رويس التي عبر عنها بالولاء من اجل الولاء، لم تتعد عن إمكانية التطبيق، وعندها فرصة كبيرة لتكون من اكثر الوسائل الاخلاقية فاعلية للوصول إلى مجتمع إنساني منسجم ومستقر مع القليل من الالتزام الإنساني والتغلب على الانانية الفردية والعرقية والدينية... بعض المجتمعات الغربية، والمجتمع الاميركي الذي ازدهرت فيه هذه الفلسفة، اخذت بذلك القليل، فكانت النتيجة مجتمعات تعددية ومنسجمة في آن. مع انه وقت طرح افكاره صرح بانه «يشعر بالازمة وبالعجز عن تحقيق المجتمع العظيم، ولا يسعه إلا تحقيق هذا المجتمع في يوم من الايام، ولا يتمنى ان يحيا إلى اليوم الذي ينتصر فيه اعداد البشرية»<sup>(1)</sup>.

ان رويس عندما حاول تعريف المجتمع، وطرح تعريفات عدة له، توصل إلى تعريف اشار لنا إلى انه التعريف الذي يمكن ان تختفي معه اختلاف التعريفات. انه المجتمع الذي يشترك ويتوحد افراده في ذات الماضي<sup>(2)</sup>.

---

(1) روسي، جوزيا : الجانب الديني للفلسفة، ص 5.

(2) Royce, Josiah : The problem of Christionity p39.

وحدة المجتمع هذه ليست هي الوحدة التي رغبها رويس في المجتمع. فقراءة شاملة وعميقة لفلسفته تؤكد ان الوحدة من خلال الولاء لاجل الولاء هي الوحدة التي يمكن ان تتسع لأكبر عدد من الناس، وبالتالي هي الوحدة التي رغبها. خاصة وان ظروفًا معينة أهمها الصراعات واحداث الحاضر التي تحل محل الماضي المشترك، يمكن ان تعمل على تخلخل المجتمع<sup>(1)</sup>. ان رغبته في الوحدة من خلال مبدا الولاء للولاء. تعني انه رغب في الوصول إلى مجتمع إنساني عالمي مادامت تلك الوحدة يمكن ان تتسع لتشمل أكبر عدد من الناس. إلا انه - كعادته في المحافظة على الاستقلالية ونبذه للتذويب في الكل - اكد وجود مجتمعات اخرى إلى جانبه واعترف بها بالقول انها، مجتمعات لا يميل مؤسسوها للولاءات العميقة الواسعة. كما اقر بعدم وجود خط فاصل يمكن ان يميز مجتمع الولاء الذي قال به وتلك المجتمعات الاخرى<sup>(2)</sup>.

اطلق رويس على مجتمعه العالمي اسم الكنيسة اللامرئية، وعرفه على انه المجتمع الإنساني community «مجتمع المخلصين وكل من يبحث عن الخلاص عن طريق الولاء»<sup>(3)</sup>. ومعروف ان مصطلح الكنيسة اللامرئية هو مصطلح كانطي، اطلقه كانط Kant على الضمير الإنساني او ما اسماه بالواجب، وله مواصفات شديدة الاقتراب من صفات مبدا الولاء لرويس هذا من جهة .

---

(1) الانصاري، احمد : فلسفة الدين عند جوزيا رويس، ص 223 .

(2) رويس، جوزيا : مصادر البصيرة الدينية، ص 179.

(3) المصدر نفسه، ص 182.

ومن اخرى فان دلالة مصطلح الكنيسة اللامرئية هي انه كما في المجتمع، تعرض مجتمع الكنيسة لصراعات طائفية اودت به إلى حروب اهلية<sup>(1)</sup>. وعليه يكون مبدا الولاء هو الحل لإشكالية الصراعات في المجتمعات. ما يجعلنا نتساءل هل يمكن ادراج فلسفة رويس الاخلاقية ضمن فلسفات الحوار المعاصرة ؟ الحق انه يمكننا ذلك وان لم يصرح صاحبها بذلك. بل نجد انه على اهمية كل الفلسفات التي طرحت ومحاولاتها للتعايش السلمي، إلا اننا نجد اخلاق الحوار عند رويس تقدم حلا اكثر عملية وقبولا وإمكانية للتطبيق من تلك الفلسفات. وراينا اكده بعض من بحث في فلسفته «من الواضح تاكيد «رويس» على قيمة الوحدة واهمية «الحوار»»<sup>(2)</sup>. ان فلسفة رويس «ترحب بكل اختلاف وتنوع بين الناس ليتحقق كل ضرب من ضروب الحياة الممكنة، وبهذه الإمكانيات كلها يقوم بناء واحد لكون واحد منسق منسجم ومتناغم»<sup>(3)</sup>. ويحق لنا التساؤل هنا من اين صارت المجتمعات التعددية المنسجمة والمتعايشة مع بعضها اليوم سمة للمجتمعات المتحضرة المعاصرة ان لم تكن من افكار هؤلاء الفلاسفة ؟ إذا ما حضى الإنسان بالبصر والبصيرة وفق إلى السمة الوقتية والقصيرة للحياة وبالخطا الفادح لصرفها بما لا يخدمه وما لا يحقق الهدف من وجوده عليها، عندها سيسال نفسه لما استبدل التمتع بها بالمعاناة لاجل كذبة ايدولوجية خاسرة. ان مجتمعاتنا هي الاحوج

---

(1) Royce, Josiah : The problem of Christianity p5 .

(2) رويس، جوزيا : روح الفلسفة الحديثة، مقدمة المترجم، ص 52 .

(3) محمود، زكي نجيب : حياة الفكر في العالم الجديد، ص 98 .

لان تلقي مثل هذه الافكار صداها فيها. في إشارة - غير مباشرة - نجد رويس يؤكد إمكانية تحقيق المجتمعات المنسجمة حتى ما يوصف باليوتوبية منها وذلك في معرض حديثه عن عالم الواقع الذي يتعامل مع الوقائع التي لا يمكن للمرء تبديلها، في مقابل عالم الافكار الذي يتعامل مع افكار يمكن للمرء صياغتها كما يشاء، فعلى سبيل المثال، يمكن للمصلحين ان يحلموا بالمدن المثالية (اليوتوبيات) وذلك لا يمكن في عالم الواقع، لكن مع ذلك نجده يؤكد «لا نستطيع القول بان عالم الوقائع عالم صلب وعنيد كلية، او بصورة كاملة، فالإرادة القوية تستطيع تبديل الوقائع وتستطيع تشكيل عالمنا وفقا لافكارنا»<sup>(1)</sup>.

قبل ختام حديثنا عن غاية رويس الرئيسة، نرى اهمية الإشارة إلى انه رغم إعلائه لقيمة المجتمع، ومجيء فكرة المجتمع واضحة في صلب فلسفته فانه لم يهمل الفرد، ولم يضح بالفرد من اجل المجتمع<sup>(2)</sup>. ومؤكد ان ذلك يعود لحصافة فكره، فلا قيمة للمجتمع دون الافراد الذين يشكلون مجموعة. كما يعود إلى فلسفته التي نسقت بين الذات والاخر. والتي فصلنا الحديث فيها.

---

(1) رويس، جوزيا : روح الفلسفة الحديثة، ص338 .

(2) الانصاري، احمد : فلسفة الدين عند جوزيا رويس، ص415.

## الخاتمة

يصف رويس مذهبه الاخلاقي بالكمال، والحق اننا لسنا مع الكمال فالنسبية من حولنا كفيلة بان تقضي على اي محاولة لبلوغ الكمال.

رويس نفسه يرى ان مهمة الاخلاق لا تنتهي، وهذا التصريح يكفي وحده لإلغاء فكرة الكمال والاكتمال. وواضح هنا انه لم يستطع التخلي عن الطابع العام للمثالية، واثّر هيجل بخاصة في ادعاء الكمال. وقولنا هذا لا يعني اننا نبخس فلسفته الاخلاقية حقها، إذ استطاعت ان تحدد معالم مثالية جديدة تتفق وروح العصر، على ما اشرنا في سياق البحث، فكانت خطوةً جريئةً ومهمة سيدونها الفكر الفلسفي لصالح رويس. اما اهم سمات مثاليته الجديدة تلك، فكانت ابتعادها عن الصرامة التي اتصفت بها المثالية. فقد اخذت مثاليته من روح العصر الكثير، من تطور العلوم والفلسفات التي كانت بارزةً على ساحة الفكر الفلسفي .

بل انه لم يبتعد عن بعض افكار الواقعية، على الرغم من انها المذهب الفلسفي المقابل لمذهبه، وعلى الرغم من انه كان قد توجه بسهام نقده لها في اكثر من موضع في مؤلفاته. فكان ان جاءت مثاليته

مرنة معطاءة عملية لا تسبح في عالم المثل والخيال ولا تتمنى ما لا يمكن حدوثه. اما اهم ما ميز فلسفة رويس الاخلاقية، باعتقادنا، فهو نظرتها الاجتماعية وابتعادها عن النظرة الفردية. ان محاولتها تحقيق الانسجام في المجتمع، وطرحها لمبدأ الولاء من اجل الولاء، مكنها من ان تحتل مكانتها بين فلسفات الحوار الاخلاقية المعاصرة، بل وان تكون في الصفوف الاولى. وفلسفة رويس الاخلاقية سمة ايجابية اخرى، لا تقل اهمية عن كل ما طرحنا من سماتها، تتجلى في محاولاتها التنسيقية والتوفيقية. فإضافة لما طرحناه في سياق البحث من تلك المحاولات، نجد ان فلسفة رويس الاخلاقية قد عملت على التوفيق بين المثالية والفلسفة البراجماتية التي ولدت ونشأت في احضانها عندما لم تقتصر على التنظير وطرحت مبدأ الولاء العملي. ومن خلال ذلك المبدأ ذاته، انتفى التعارض الاخلاقي القديم بين كون الاخلاق نسبية او مطلقة. فلكل فرد الحرية في اختيار قضية الولاء التي يرغب من جهة، وعلى الجميع الالتزام والإخلاص لتلك القضية من جهة اخرى .

ومن خلال مبدأ الولاء لم يعد الإنسان مجبوراً لإطاعة سلطة خارجية او داخلية، بل يكون كمن توجه للخارج بحثاً عن قضيته ثم عاد إلى ذاته ليطيعها. ومعروف انه هنا يتبع خطوات كانط Kant مع استبدال بسيط لمبدأ الواجب بمبدأ الولاء .

ومع انتهاء رحلتنا البحثية في فلسفة رويس الاخلاقية، وبعد ان استعرضنا اهميتها وما ميزها يحق لنا التساؤل هل وفق في التنسيق في حدود نسقه ؟ جوابنا هو نعم بل ونعتقد ان تنسيقه إذا ما طبق في حدود

نسق عالمنا بتعقل الإنسان وحسن نظره إلى مصلحته الحقيقية، فإن  
اهمية تنسيقه ستتجلى على ارض الواقع عملياً .





## المصادر

- اسلام، عزمي :اتجاهات في الفلسفة المعاصرة، الكويت، 1980 .
- الطويل، توفيق : اسس الفلسفة، مصر، ط4، ص1964 .
- امين، عثمان : رواد المثالية في الفلسفة الغربية، ط2، القاهرة، 1975.
- الانصاري، احمد فلسفة الدين عند جوزيا رويس، مصر، 2004
- جيرار، ديلو دال : الفلسفة الامريكية، ترجمة جورج كتورة والهام الشمراني، بيروت، 2009
- رايت، وليم كلي : تاريخ الفلسفة الحديثة، ترجمه محمود السيد احمد، تقديم ومراجعة امام عبد الفتاح امام، لبنان، 2010
- رشوان، محمد مهران، مدين، محمد محمد، الفلسفة الحديثة والمعاصرة، عمان، 2012
- رويس، جوزيا : العالم والفرد ج1، ترجمة وتقديم احمد الانصاري، مراجعة حسن حنفي القاهرة، 2008
- رويس، جوزيا : العالم والفرد ج2، ترجمة وتقديم احمد

- الانصاري، مراجعة حسن حنفي القاهرة، 2008 .
- رويس، جوزيا : الجانب الديني للفلسفة، ترجمة احمد الانصاري،  
مراجعة حسن حنفي، ط2، القاهرة، 2009 .
  - رويس، جوزيا : روح الفلسفة الحديثة، ترجمة احمد الانصاري، مراجعة  
حسن حنفي، ط2، القاهرة، 2009 .
  - رويس، جوزيا : فلسفة الولاء، ترجمة احمد الانصاري، مراجعة حسن  
حنفي ط2، القاهرة، 2009 .
  - رويس، جوزيا : مصادر البصيرة الدينية، ترجمة احمد الانصاري،  
مراجعة حسن حنفي، القاهرة، ص2007 .
  - رويس، جوزيا : مبادئ المنطق، ترجمة احمد الانصاري، مراجعة حسن  
حنفي، ط2، مصر، 2009 .
  - شنيدر، هيربرت : تاريخ الفلسفة الاميركية، ترجمة محمد فتحي  
الشنيطي القاهرة، 1964 .
  - فروم، ايرك : ما وراء الاوهام، ترجمة صلاح حاتم، سوريا، 1994.
  - فروم، ايرك : مفهوم الإنسان عند ماركس، ترجمة محمد سيد رصاص،  
سوريا 1998 .
  - محمد، علي عبد المعطي : تيارات فلسفية معاصرة، مصر، 1984 .
  - محمود، زكي نجيب : حياة الفكر في العالم الجديد، ط3، القاهرة،  
1987.

## المصادر باللغة الانجليزية

- Royce, Josiah : studies of Good and Evil, Arohon Books, 1898 .
- Royce, Josiah: The problem of Christionity. Chicago 1913 .
- Royce, Josiah : The world and The individual. New york. 1959 .

## مواقع النت الالكترونية :

- www. Maajim. com .
- www. startimes. com .
- www. kasnazan. com .
- www. hrdiscassion. com .
- ar. wikipedia. org .
- ar. wikipedia. wiki .

## المعاجم والموسوعات :

- بدوي، عبد الرحمن : موسوعة الفلسفة ج2، بيروت، ص1984 .
- صليبيا، جميل : المعجم الفلسفي ج2، بيروت، ص1982 .
- معلوف، لويس : المنجد في اللغة الآداب والعلوم، ط19، بيروت، 1966 .

## الرسائل والاطاريح :

- الاسعد، محمد اسعد : الاتجاه المثالي في الفكر العربي المعاصر، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة بغداد - قسم الفلسفة، 1990.
- محمد، منال خالد محمود: الفلسفة المثالية عند جوزيا رويس، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة بغداد، قسم الفلسفة، 2013.



الدراسة الفلسفية الثانية:  
عقلنة الدوافع التدميرية عند الانسان

-حلول ايرك فروم-



## المقدمة

اخذ بعض المفكرين والكتاب والفلاسفة المعاصرين على عاتقهم التصدي لظاهرة العنف المنتشرة اليوم اكثر من اي وقت خلى، وخاصة الإنسانيون منهم، ووقفوا موقف الطبيب المشخص والمحلل والناقد والمستهجن، دون ان يفوتهم التفكير بالبديل. وكان ايرك فروم (1900 - 1979) (Erich Fromm) واحدا منهم. اذ مزج فلسفته الإنسانية بعلم النفس فشكل لنا لوحة مطعمه سيمولاكريه Simulakrum - لانستعمل الكلمة هنا بمعناها الشائع، الصورة مقابل الحقيقة، استعملناها للاشارة للمزيج الذي لا تضمه وحدة - لوحه مزيجية مختلطة بنتيجة موحدته وجميلة. خلطة سحرية يمكن للإنسان، اذا ما اخذ بها جديا، ان يصل الى مجتمع متعافٍ خالٍ من تلك الظاهرة. وما دمنا تحدثنا عن تشخيص وعلاج، فان ذلك يعني ان بحثنا سيتناول بحث مشكلة (التدميرية)<sup>(1)(\*)</sup> Destructiveness واثرها في خلق مجتمع مريض قلق غير آمن) وسيشخص اسبابها،

---

(1) (\*) عبر عن التدميرية في مؤلفاته بمصطلحات أخرى كالعوانية، والعنف، والشر، والقسوة. وقد اعتمدنا المصطلح الاكثر استعمالا من قبله والذي جعله عنوان لاحد مؤلفاته.



ثم يعمل على حلها او علاجها (عقلنه التدميرية). والحق إن فروم لم يصرح في مؤلفاته انه سيعقلن التدميرية، فستكون مهمتنا الكشف عما لم يصرح به والتي سنبينها في سياق البحث. لكن قبل الخوض في مشكلة بحثنا، وجدنا من الضروري ان نزيل الغموض واللبس عن تصنيف يرفض تثبيت ايرك فروم في قائمة الفلاسفة، ويؤثر عده واحدا من علماء النفس فحسب! بينما نفى بعضهم صفة عالم النفس عنه (اننا لا يجب ان نطلق عليه اسم «عالم نفسي» بل هو اقرب الى المؤرخ والفيلسوف الاخلاقي)<sup>(1)</sup> والحق ان فروم - بحسب الموسوعة الحرة Wikipedia - هو عالم نفس وفيلسوف إنساني<sup>(2)</sup>. ومن المعروف ان هنالك تداخلا كبيراً بين الفلسفة وعلم النفس يتجلى في ان كليهما يشخصان حالة ما ثم يعملان على ايجاد العلاج لها «اننا امام فيلسوف لا ينحصر دوره في تشخيص او وصف الظواهر المرضية فحسب، بل يتعدها لطرح العلاج، لمنظومته الفلسفية والإنسانية»<sup>(3)</sup>. اننا، وعلى سبيل المثال، عندما قررنا البحث في موضوعنا طرقتنا باب الفيلسوف الحاصل على الدكتوراه في الفلسفة والذي ينتمي للاتجاه الفلسفي الإنساني المعاصر<sup>(4)</sup>. والى مدرسة فرانكفورت او النظرية النقدية<sup>(5)(\*)</sup> Critical theory

---

(1) فروم ، ايرك : الإنسان بين الجوهر والمظهر ، ترجمة سعد زهران ، مراجعة وتقديم لطفي فطيم ، الكويت ، 1989 ، ص 12

(2) Fromm ، Erich : The Free encyclopedia en. Wikipedia. Org

(3) جمعة ، قاسم : النظرية النقدية عند ايرك فروم ، بيروت ، 2011 ، ص 16.

(4) فروم ، ايرك : الإنسان المستلب وافاق تحرره ، ترجمة وتعليق حميد لشهب ، تقديم ، راينزفونك ، الرباط ، ب. ت ، ص 5 - 6.

(5) (\*) نظرية فلسفية اجتماعية اميركية المانية تأسست 1923 ، اعطت للنقد والنقد الذاتي اهمية كبيرة ، تضم اجيال يعد فروم من جيلها الاول.

المعاصرة. ومن خلال اطلعنا على مؤلفاته لمسنا تداخلا واضحا بين فلسفته وتشخيصاتها، وتحليلاته النفسية «طرح فروم فكره النقدي بروح فلسفية تمزج داخل نسيجها نتاج العلوم الإنسانية : علم النفس والاجتماع والانثروبولوجيا ... وهو امر لا يقدر في مشروعية اي نسق فلسفي، الا إذا اغفل تلك العلوم وانجازاتها التي باتت تشكل الاساس العلمي لاي خطاب فلسفي»<sup>(1)</sup>. وذلك هو المزيج السحري الذي تحدثنا عنه في مقدمة بحثنا، الذي يثري الفكر مايساعد على تحقيق افضل النتائج المرجوة منه. وسياق بحثنا سيوضح عمق النتائج التي بلغها فروم في معالجته للمشكلات، والمشكلات الفلسفية، ومشكلة بحثنا هذه التي حاول من خلالها بلوغ ما اسماه الهدف من الحياة (تحقيق الوجود)<sup>(2)</sup>. ومعروف إن البحث في الوجود، والوجود الايجابي السليم هي من المحاور الاساسية في الابحاث الفلسفية، والتي برز الاهتمام المعاصر بها من قبل الفكر الفلسفي الوجودي المعاصر. وقد تجلّى اهتمام فروم بالوجود ومحاولته بلوغ الوجود الاصيل في مؤلفه فن الوجود، on Being. فتحقيق الوجود او فن الحياة او فن العيش في مجتمع سوي، هو الغاية التي يحاول بحثنا الوصول لها بعد تذليل المشكلة (العقبة) التي تحول دون ذلك بالعقلنة.

والسؤال هل يصح لنا الحديث عن عقلنه عند فيلسوف يعد واحد من نقاد الحداثة؟ يجب إن لا يفهم من فلسفة ما بعد الحداثة انها

---

(1) جمعة ، قاسم : النظرية النقدية عند ايرك فروم ، ص 331.

(2) المصدر نفسه ، ص 127.

بالضرورة فلسفة في نقد العقل فحسب. فقد تكون نقداً لنتائج طرق استعماله السلبية، او نقداً للمغالاة في الإيمان به، او نقداً لنوع منه كالعقل الاداتي الذي انتقدته النظرية الفلسفية النقدية المعاصرة التي ينتمي فروم لها. إن الغاية من عقله التدميرية هي الوصول للإنسان السوي في مجتمع سوي، ونلاحظ انها الغاية ذاتها التي نشدها كل من كتب في المجتمعات الصالحة، فهل كان فروم واحدا منهم؟ ذلك ما سيتضح لنا في نهاية البحث كذلك.

### أولاً: المشكلة – الطاقة التدميرية واسبابها

تتخذ التدميرية صورا عدة، فمنها ما هو موجه نحو الآخر - إنسان، طبيعة حيوان... - ومنها ما يوجه نحو الذات - الانتحار - وربما الصورة الاخيرة تكون جالبة للانتباه، ذلك ان الإنسان محب لذاته، والفكر الإنساني الضارب في القدم يؤكد لنا محاولات الإنسان الجادة في البحث عن الخلود، كما ان صراع الإنسان اليومي مع كل من حوله، ما هو الا انعكاس لحب الإنسان لذاته وسعيه للحفاظ عليها وتلبية رغباتها، فكيف بعد كل ذلك يسعى الى تدميرها؟ ان الذي يشد الانتباه اكثر هو ان تلك الصورة، وبحسب الجداول الاحصائية، تحدث في المدن الاكثر سلاما واستقراراً وعدلاً في توزيعها للثروات. ما يوصل الى حقيقة القول «ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان»<sup>(1)</sup> وما توصل فروم اليه هو عدم وجود «تدميرية كبيرة ضد الآخرين عند الذين لديهم

---

(1) فروم ، ابرك : المجتمع السوي ، ترجمة محمود منقذ الهاشمي ، دمشق ، 2009 ، ص 112 - 113.

عداء قليل لانفسهم، بل على العكس، نحن نرى ان عداء المرء لذاته مقترن بعدائه للآخرين»<sup>(1)</sup>. وربما ذلك التفسير يزيل بعض اللبس عن سؤالنا، الا انه يستدعي سؤالاً جديداً، لماذا العداء بالاساس للذات وللآخر ؟ يجب فروم «ان الإنسان، خلافاً بالفعل لكل اللبونات، هو الوحيد في فصيلة الرئيسيات الذي يمكن إن يشعر باللذة العارمة في القتل والتعذيب»<sup>(2)</sup>. هي اللذة اذن، الدافع الرئيس للافعال الإنسانية التي تجعل الإنسان يدمر. لكن اذا كان كل إنسان يبحث عن اللذة، فهل ذلك يعني ان كل الناس تدميريون ؟ وان التدمير فطرة او غريزة إنسانية؟ يصرح فروم - خلافاً للكثير ممن خاض في ذلك الموضوع - إن التدميرية ليست غريزة او فطرة في الإنسان ويستشهد بادلة:

«المعلومات حول حياة اللبونات عموماً والرئيسات ما قبل البشرية خصوصاً لا تشير إلى وجود «تدميرية» فطرية، يفترض إن الإنسان قد ورثها منها»<sup>(3)</sup>.

بما إن القروء ليست لا حمة - من آكلة اللحم - فهي غير مفترسة وذلك يعني إن الإنسان لا يولد ومعه تدميرية فطرية<sup>(4)</sup>.

النسبية في كمها والبيئة التي تظهر فيها، تؤشر لا فطريتها، يقول

(1) فروم ، ايرك : الإنسان من اجل ذاته ، ترجمة محمود منقذ الهاشمي ، دمشق ، 2007 ، ص 246.

(2) فروم ، ايرك : تشريح التدميرية البشرية ج 1 ، ترجمة محمود منقذ الهاشمي ، دمشق ، 2006 ، ص 290.

(3) المصدر نفسه ، ص 174 .

(4) المصدر نفسه ، ص 192 .

«التدميرية والقسوة هما في ادنى الحدود في مجتمعات كثيرة بحيث إن هذه الاختلافات الكبيرة لا يمكن إن تفسر إذا كنا نتعامل مع عاطفة «فطرية» وعلاوة، فإن تظهر المجتمعات الاقل تمدنا تدميرية اقل من المجتمعات الاكثر تطوراً يدل على نقيض فكرة إن التدميرية جزء من «الطبيعة البشرية»»<sup>(1)</sup>.

نسبية دوافعها تدل على لا فطريتها، فقد يكون الدافع لها الدفاع عن النفس، او مجرد طاعة الاوامر، او وسيلة للحصول على ما هو ضروري او مرغوب او الخروج من الرتابه<sup>(2)</sup> ...

الا ان فروم يقول ان كون التدميرية ليست فطرية لا يعني انها ليست شديدة وواسعة الانتشار<sup>(3)</sup>. فما مصدرها ؟ لايرك فروم راين في ذلك: الاول، اتصافنا باللامبالاة Indifference اما الراى الثاني والاهم والاكثر شيوعا عنده بان التدميرية ظاهرة مرضية، والحكم على شخص ما بانه تدميري لا يختلف عن اعراب الطبيب عن خلل وظيفي في القلب او الرئتين<sup>(4)</sup>. او انه إنسان معوجا يسلك السبيل المغلوط، معاقا نتيجة ظروف معينة. اي ان لا وجود مستقل للتدميرية بذاتها، وان علاج المرض او الاعاقة يمكن ان تجعلها تختفي<sup>(5)</sup>. إذن التدميرية بعامه (البنيلوجيا - علم الجريمة والبولومونجيا- علم الحرب) هي «إعاقة

---

(1) المصدر نفسه ، ص 284 .

(2) المصدر نفسه ، ص 324 .

(3) المصدر نفسه ، ص 285 .

(4) فروم ، ايرك : الإنسان من اجل ذاته ، ص 264 .

(5) المصدر نفسه ، ص 248 .

التوسع الحسي والانفعالي والعقلي»<sup>(1)</sup>. إلا إن وسم التدميرية بأنها مجرد إعاقة لا يعني إن فروم لا يستهجنها، أو لا يعتبرها رذيلة بل على العكس، فهو يرى انها مدمره للحياة والجسم والروح وللمدمر نفسه<sup>(2)</sup>.

كما انه لا يبرر للإنسان التدميري إطلاقاً، فهو يرى إن «عقل الإنسان ومشيتته عاملان قويان في عملية نموه، فرديا واجتماعيا»<sup>(3)</sup>. وذلك يقودنا للخوض في اسباب التدميرية، ومن ثم الخوض في بيان الحلول التي طرحها فروم لها - عقلنتها - فما اسباب التدميرية بحسب فروم؟

للتدميرية اسباب عدة، رئيسة وثانوية، لم يطرحها على شكل نقاط بل كانت متناثرة في مؤلفاته، سنستعرضها بنقاط لتكون محدده ومبرّزه، بالتسلسل وبحسب الاولوية التي لمسناها من خلال قراءتنا لمؤلفات فروم.

النكر وفيليا Necrophilia او حب الموت والبيوفيليا biophilia او حب الحياة: قصد فروم بالنكر وفيليا، «الانجذاب العاطفي الى كل ما هو ميت، ومتفسخ، ومتعفن، وسقيم، انها الشغف بتحويل ما هو حي الى شيء غير حي، وبالتدمير من اجل التدمير، والاهتمام الحصري بما هو ميكانيكي خالص. وهي الشغف بتفكيك كل البنى الحية»<sup>(4)</sup>. وهي من النوع الخبيث، إذ ميزها فروم عن التدمير غير

---

(1) فروم ، ايرك : الهروب من الحرية ، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد ، بيروت ، 1972 ، ص 130

(2) فروم ، ايرك : تشريح التدميرية البشرية ج 1 ، ص 47 .

(3) المصدر نفسه ، ص 409 .

(4) المصدر نفسه ، ص 15 .

الخيث - الاستجابي او الدفاعي - <sup>(1)</sup>. إما عكسها فهي البيوفيليا او حب الحياة. ومن رؤية واقعية، صرح فروم بان محبة الموت ومحبة الحياة إمكانيتان عند الإنسان <sup>(2)</sup>. وهما تعابير؟ متعاقبة، حب الحياة حب بيولوجي طبيعي، وحب الموت تقيضها المرضي، وبالإمكان وجودهما معا لدى الشخص نفسه والناس برأيه، عموما، غير محبة للموت، لكن قد يحدث ما يزيد تلك الإمكانية، فعلى سبيل المثال، ان الناس قد يتاثرون، خاصة في اوقات الازمات «باولئك المحبين للموت، وبالياس الذي يسيطر عليهم. ان الناس قد تهاوى امام تاثير شعاراتهم او اديولوجياتهم التي تخفي وتغلن غايتهم الحقيقية، التدمير، ان محبي الموت يتحدثون باسم الشرف، والنظام، والملكية، والماضي، وحيانا باسم المستقبل والحرية والعدالة» <sup>(3)</sup>. هنا يمكن إن نلمس روعة المزيج بين علم النفس، واهميته في الكشف عن الغايات الحقيقية لمحبي الموت إذ إن «باستطاعة التحليل النفسي إن يساعد الناس على التعرف على محبي الموت رغم قناع ايدولوجياتهم السامية، وان يتعامل معهم، كما هم حقيقة وليس كما يدعون» <sup>(4)</sup>. وبين فلسفة الاخلاق الإنسانية المعنية بمشكلة الكره غير المعقول او الشغف بتدمير الحياة او شلها ضد الآخرين وضد النفس <sup>(5)</sup>. إضافة لتاثر الناس

(1) المصدر نفسه ، ص 15 .

(2) المصدر نفسه ، ص 32 .

(3) فروم ، ايرك : جوهر الإنسان ، ترجمة سلام خير بيك ، سوريا ، 2011 ، ص 166.

(4) فروم ، ايرك : ازمة التحليل النفسي ، ترجمة طلال عتريس ، بيروت ، 1988 ص 185.

(5) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

بمحبتي الموت، فان ما يزيد من إمكانية حبه لدى الإنسان «الإدمان على المخدرات، والجريمة، والانحطاط الثقافي والروحي، واحتقار القيم الاخلاقية الحقيقية، مرتبطة كلها بتنامي الانجذاب إلى الموت»<sup>(1)</sup>. والعجز عن تقدير الحياة، عند إنسان اليوم، ساهم في زيادة كفة حب الموت. يقول فروم، إنسان اليوم «عاجز عن الحب وعن استخدام عقله، وتكوين القرارات، وهو في الحقيقة عاجز عن تقدير الحياة ولذلك هو مستعد وحتى راغب في تدمير كل شي»<sup>(2)</sup>. وليس انعدام تقدير الحياة هو من يزيد في كفة حب الموت فحسب بل هبوط ميلها الى النمو «إذا هبط ميل الحياة الى النمو، والى ان تعاش، فان الطاقة التي تسد السبيل امامها تخضع لتبدل وتتحول الى طاقة مدمره للحياة. ان التدميرية هي حصيلة الحياة غير المعيشة»<sup>(3)</sup>. لتزيد كفة حب الحياة، ينبغي احترام القوى الموجهه لها فينا وفي الاخر «فللاعتداء على القوى الموجهة نحو الحياة في اي إنسان اصدائه في انفسنا بالضرورة. وان نماءنا وسعادتنا وقوتنا قائمة على احترام هذه القوى، ولا يمكن للمرء ان يعتدي عليها في الآخرين وتظل نفسه غير متأثره في الوقت نفسه»<sup>(4)</sup>. اذن يجب جعل معنى للحياة لتزيد كفة حبها وعيشها، لتخلص من التدميرية بالتالي والا حدث العكس، ذلك ان «القوى المدمرة للحياة في شخص من الاشخاص توجد في تناسب عكسي مع قوى رفد

(1) فروم ، ايرك : الإنسان من اجل ذاته ، ص 246 .

(2) فروم ، ايرك : تشريح التدميرية البشرية ج 1 ، ص 124 .

(3) فروم ، ايرك : المجتمع السوي ، ص 484 .

(4) فروم ، ايرك : الإنسان من اجل ذاته ، ص 247 .



الحياة، فكلما قويت احدهما ضعفت الاخرى، والعكس بالعكس»<sup>(1)</sup>. وربما نستشعر الامل والتفاؤل لو عرفنا ان فروم رغم واقعيته وقوله بتساوي الإمكانيتين - حب الحياة والموت - في الإنسان، إلا انه قال بان الكفة الاعلى لمحبة الحياة «محبة الحياة خصيصة في الإنسان ممنوحة بيولوجيا بقوة شديدة بحيث يجب ان يفترض المرء انها، بقطع النظر عن الاقلية الصغيرة، يمكن على الدوام ان تأتي الى المقدمة»<sup>(2)</sup>.

احباط الانتاجية (الابداعية) والتدميرية: لهذه النقطة علاقة مكيئة والنقطة الاولى، فكلتا الطاقتان موجودتان كامكانية في الإنسان كذلك. وان محب الحياة تنشط عنده الطاقة الانتاجية، بينما تنشط التدميرية عند محب الموت، ذلك ان التدميرية امكانية ثانوية في الإنسان لا تصبح ظاهرة الا اذا اخفق في تحقيق امكانياته الاولى<sup>(3)</sup>. اي ان التدميرية ما هي الا طاقة انتاجية محبطة، وتزداد تلك التدميرية مع مقدار انسداد السبيل امام تفتح امكانيات وقدرات الشخص الانتاجية<sup>(4)</sup>. إذ إن رغبة الإنسان في اظهار قدراته وامكاناته متصلة فيه وجهده في ازالة العقبات في ذاته او في بيئته، والتي تحد من تلك الامكانيات، واضحة<sup>(5)</sup>. وهكذا يمكن، بحسب فروم، التخلص من التدميرية لدى الإنسان بازالة العقبات الموجودة فيه او في بيئته. العقبة الاولى في الإنسان، والتي

---

(1) المصدر نفسه ، ص 255 .

(2) المصدر نفسه ، ص 247 .

(3) فروم ، ايرك : نشرح التدميرية البشرية ج 2 ، ترجمة محمود منقذ الهاشمي ، دمشق ، 2006 ، ص 134 .

(4) فروم ، ايرك : الإنسان من اجل ذاته ، ص 248 .

(5) المصدر نفسه ، ص 247 .

تحول دون تكشف امكانياته وقدراته هي نقص الارادة التي تجعله عبدا لاهوائه اللاعقلانية irrationality. يقول «الشخص الانتاجي الذي يثق بعقله والقادر على محبة الآخرين ومحبة نفسه لديه الارادة لكي يتصرف بطريقة فاضلة. والشخص غير الانتاجي الذي اخفق في تنمية هذه الخصائص والذي هو عبد لاهوائه غير المعقولة تعوزه الارادة»<sup>(1)</sup>.

فائدة الشخص الانتاجي لا تنتهي مع انتهاء قوته التدميرية، بل تزيد قوة وايماناً وسعادة، ما يجعل خطر ان يكون مغترباً عن ذاته في تناقص<sup>(2)</sup>، ومن منطلق الفيلسوف الاخلاقي او الواعظ الديني، يكشف فروم لنا بان ليس الجزاء - الثواب والعقاب - هو ما يجعل من الإنسان إنساناً فاضلاً، بل افساح المجال امام طاقات الإنسان الانتاجية «لا يوجد شيء اكثر افضاء الى عمل الخير بالمعنى الإنساني من تجربة الفرح والسعادة التي تصاحب اي نشاط انتاجي. وكل زيادة في الفرح يمكن ان تعدها الثقافة سوف تعمل على تربية اعضائها اكثر من كل ما يمكن ان تفعله التخديرات من العقوبة او المواعظ بالفضيلة»<sup>(3)</sup>.

اما العقبة الثانية - البيئة - المناسبة، فهي من واجبات المجتمع تجاه الإنسان، بحسب فروم، يقول «إذا كان المجتمع معنياً بجعل الناس فضلاء، فلا بد ان يكون مهتماً بجعلهم انتاجيين ومن ثم بخلق الشروط لتنمية الانتاجية»<sup>(4)</sup>. ويمكننا ان نوجز العلاقة بين طاقة الإنسان

(1) المصدر نفسه ، ص 259 .

(2) المصدر نفسه ، ص 261 .

(3) المصدر نفسه ، ص 259 .

(4) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

الابداعية والتدميرية بالشرح العلمي لفروم والذي بين فيه بان «الإنسان لا يستطيع ان يعيش بوصفه ليس سوى شيء، حجرة نرد القيت من فنجان، وهو يعاني بشدة بالغلة عندما يختزل الى مستوى آلة طعام او تناسل، ولو كان له كل الزمان الذي يريده. الإنسان ينشد ما يحرك النفس ويسيرها، وعندما لا يستطيع الحصول على الاشباع على اعلى مستوى، يبدع لنفسه مسرحية الدمار»<sup>(1)</sup>.

الحضارة والتقنية والتدميرية: وهذه النقطة على علاقة قوية مع النقطة الاولى كذلك. ويمكن ان تتوضح هذه العلاقة إذا ما بينا ان القوة التدميرية من النوع الخبيث والتي اطلق عليها فروم النكر وفيليا او حب الموت تتعامل مع كل ما هو غير حي وبرزت التقنية مع الحضارة الجديدة حول تعامل الإنسان من التعامل مع الطبيعة والاحياء الى كل ما هو غير حي. مثال بسيط على ذلك هو علاقة الرجل بزوجته، إذ نجده صار يحنو على سيارته اكثر منها، فتراه يفخر بسيارته ويداوم غسلها والاهتمام بها ورعايتها بل ويطلق البعض اسماء للتحجب عليها، وتبدو الحياة بدونها اصعب على التحمل منها من دون امرأة<sup>(2)</sup>. تتضح علاقة التدميرية والحضارة الإنسانية في ان الإنسان كي «يبدع الحضارة، كان عليه ان يمتلك العبيد، ويشن الحرب، ويفتح الارض»<sup>(3)</sup>. فالحروب والاسلحة المستعملة فيها وخاصة السلاح النووي The rmonuclear Wapon هي الوجه البشع الاول الذي كشف عنه الإنسان مع بروز

---

(1) المصدر نفسه ، ص 258 .

(2) فروم ، ايرك : تشريح التدميرية البشرية ج 1 ، ص 45 .

(3) فروم ، ايرك : تشريح التدميرية البشرية ج 2 ، ص 112 .

التقنية الجديدة، وبحسب فروم، برز ذلك الوجه مع الحرب العالمية الثانية عندما استخدمت الطائرة للقتل الجماعي<sup>(1)</sup>. ويصرح انه رغم الثراء الذي امتلكه العالم الغربي في المائة سنة الاخيرة، ثراء مادياً اكبر من ثراء اي مجتمع آخر في تاريخ الجنس البشري، الا ان بروز الحروب الصغيرة منها، والكبيرة التي حدثت في الاعوام 1870 و1914 و1939 قد تسببت في قتل الملايين من سكاننا<sup>(2)</sup>. ان الاسوء في تلك الحروب هو انه يمكن بضغط زر مسافة نصف إنش قتل آلاف من الناس<sup>(3)</sup>. وكل ذلك دون ان يحدث اي ردة فعل عند من قتل ما دام لا يرى ولا يعرف الناس الذين قتلهم. بل على العكس فالإنسان قد يشعر بالزهو باكتشاف الاسلحة، اكثر من شعوره بالحزن عندما يكشف ان هذا الاكتشاف خطر على الحياة<sup>(4)</sup>. باتت الاسلحة التي صنعها الإنسان تتحكم فيه بينما يعتقد انه هو من يتحكم فيها، وذلك احلك رمز للاغتراب الإنساني اليوم، إذ مات الإنسان لتحيا الاشياء<sup>(5)</sup>. يقول فروم صرنا «ننتج سلعا تهددنا بالدمار المادي، حتى إننا نحول الفرد إلى مستهلك سلبي تماما ومن ثم نميته»<sup>(6)</sup>. كان فروم يخشى ويتوقع حدوث حرب ذرية في المستقبل، ويرى «ان حصيلة حرب

---

(1) فروم ، ايرك : تشریح التدميرية البشرية ج 1 ، ص 404 .

(2) فروم ، ايرك : تشریح التدميرية البشرية ج 2 ، ص 117 .

(3) فروم ، ايرك : المجتمع السوي ، ص 103 - 104 .

(4) فروم ، ايرك : مساهمة في علوم الإنسان ، ترجمة محمد حبيب ، سوريا، 2013، ص53.

(5) فروم ، ايرك : الإنسان المتسلب ، ص 113 .

(6) المصدر نفسه ، ص 51 - 52 .

ك هذه، على الأرجح، هو دمار حضارتنا الصناعية، وارتداد العالم إلى المستوى الزراعي البدائي»<sup>(1)</sup>. كما كان يتوقع إن الخطر لن ينحصر في اثر الاسلحة بل يتعداها الى امكانية عدم استمرار الحياة، يقول «اننا نواجه احتمال توقف الحياة على هذه الارض بعد خمسين سنة، وربما اقل من ذلك بكثير، وليس ذلك فقط نتيجة حرب نووية، كيميائية او بيولوجية (والتقدم التقني سنويا يجعل الاسلحة الموجودة اكثر قوة وتدميراً) بل نتيجة مباشرة «للتقدم» التقني الذي سيجعل الارض والماء والهواء غير صالحين لاستمرار الحياة»<sup>(2)</sup>. والحقيقة ان هاجس الخوف من المستقبل هو سمة يتصف بها الاميركان عموماً، يتجلى في كتاباتهم وحتى في افلامهم يبلغ احيانا درجة التشاؤم وذلك يناقض بعض تصريحاتهم التي تكشف عن تفاؤل، مثال ذلك تساؤل فروم «ما هو نوع المجتمع وما هو نوع الإنسان اللذان يمكن ان نجدهما عام 2000 بشرط ان الحرب النووية لم تدمر الجنس البشري قبل ذلك؟»<sup>(3)</sup>. - صرح بذلك عام 1968 - اما الوجه البشع الثاني للتقنية، فيكشف عن ذاته من خلال التقنية، التي خلقت موضوعاً جديداً لبرجسية الإنسان، عندما منحتة فخر كونه خالقاً لاشياء كانت مجرد احلام حتى امد قريب<sup>(4)</sup>. التقنية افقدت الإنسان ارتباطه بنفسه وبالحياة وفقد الإيمان

(1) فروم ، ايرك : ثورة الامل ، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد ، القاهرة ، 2010 ، ص 15.

(2) فروم ، ايرك : المجتمع السوي ، ص 487 .

(3) فروم ، ايرك : ازمة التحليل النفسي ، ص 183 .

(4) فروم ، ايرك : ثورة الامل ، ص 55 .

الديني والقيم الإنسانية المرتبطة بهذا الإيمان<sup>(1)</sup>. وقد اطلق فروم على ذلك النوع من علاقة الإنسان بالتقنية إستالة الإنسان، اي تحولهم الى بشر آليين Robots وذلك النوع من البشر لا يتمرد «فاذا منحت طبيعة الإنسان للبشر الآليين، فانهم لا يمكن ان يعيشوا ويظلوا اسوياء، بل يصبحون مدمرين، فيدمرون عالمهم و انفسهم لانهم لم يعودوا يتحملون الضجر في عالم خلو من المعنى»<sup>(2)</sup>. فتحول البشر الى آلة، يعني جفاف مشاعرهم وانها بدات الاخذ باشكال العنف وبما ان العقل - بحسب فروم - يتدفق من مزج التفكير العقلي بالشعور، فان الانقسام بين التفكير والشعور يفضي إلى مرض، إلى شيزوفرينيا مزمنة من الدرجة المنخفضة، ومنها يبدأ الإنسان الجديد للعصر التكنوقراطي في المعاناة<sup>(3)</sup>. ربما لو تحولت التقنية بالإنسان إلى سايبورغ Vyborg يكون الامر اهون إلا إن تحولته إلى آلة عديمة المشاعر هو امر ينذر بالخطر بحسب قول فروم، الذي يعود فيه إلى توقعه عن العام 2000 بالقول «إن عام 2000 قد لا يكون عام الانجاز والذروة السعيدة لحقبة ناضل فيها الإنسان من اجل الحرية والسعادة، لكن بداية حقبة فيها يكف الإنسان عن إن يكون إنسانا وانه قد تحول إلى آلة لا تفكر ولا تشعر»<sup>(4)</sup>. لكن مع كل ما تقدم هل يصح الحديث عن عقلنة ؟ اوليس العقل اساس الحضارة ؟ الم تزد التدميرية معها ؟ فروم يستدرك ويضع

---

(1) فروم ، ايرك : جوهر الإنسان ، ص 110 .

(2) فروم ، ايرك : المجتمع السوي ، ص 488 .

(3) فروم ، ايرك : ثورة الامل ، ص 73 .

(4) المصدر نفسه ، ص 56 .

ثقتة مرة أخرى في عقل واردة الإنسان بالقول «ولكن كل هذه الوقائع ليست قوية الى الحد الذي يقضي على ايمان الإنسان بالعقل، والارادة الطبية، والسلامة»<sup>(1)</sup>.

فقدان الامل والتدميرية: تماشي هذه النقطة النقاط التي سبقتها في علاقتها والنقطة الاولى من اسباب التدميرية. فللامل علاقه بالحياة وفن العيش الصحي فيها. وقبل الخوض في بيان كيفية ذلك لا بد لنا ان نعرف الامل اولاً. الامل يعني «ان نكون مستعدين في كل لحظه لذلك الذي لم يولد بعد، ومع هذا الاصبح يائسين اذا لم يوجد اي تولد له ابان حياتنا»<sup>(2)</sup>. الا ان تلك الصورة المشرقة ليست لها علاقة بالواقع الحقيقي للإنسان، فهو اذا ما تحطم امله فسيكون كارها للحياة، وبذلك تنشأ القوة التدميرية لديه «هنالك نتيجة أخرى واكثر خطورة للامل المتحطم هي الدمار والعنف. وتاماً لان الناس لا يستطيعون ان يعيشوا بدون امل، فان المرء الذي يدمر امله بالكامل يكره الحياة. ولما كان لا يستطيع ان يخلق الحياة، فانه يريد ان يدمرها»<sup>(3)</sup>. هذا على مستوى الأفراد، ويحدث الشيء ذاته على مستوى الجماعات، يقول فروم «ليس الفرد هو الذي يعيش وحسب بالامل. فان الامم والطبقات تعيش من خلال الامل والإيمان والجلد، وإذا فقدت هذه الإمكانية فإنها تياس، إما من جراء نقص الحيوية او من جراء التدميرية اللاعقلانية

---

(1) فروم ، ايرك : المجتمع السوي ، ص 491 .

(2) فروم ، ايرك : ثورة الامل ، ص 25 .

(3) المصدر نفسه ، ص 45 .

التي يطورونها»<sup>(1)</sup> ومن الطرافة معرفة إن الجماعات التي ليس لديها رؤية للامل هم اقل عنفاً من الجماعة التي تدركه، ما بين قوة الصلة بينه وبين التدميرية يقول فروم «الجماعات المحرومة والمُساء معاملتها، انها لا تستطيع حتى إن تكون يائسة لانه ليس لديها رؤية للامل، وهم اقل عنفا من اولئك الذين يرون إمكانية الامل ومع هذا يدركون في الوقت نفسه إن الظروف التي تجعل تحقق امالهم مستحيلاً»<sup>(2)</sup>.

إعاقة الحرية والتدميرية: بحسب فروم، الحرية شرط نمو الإنسان الكامل، ما يجعل القتال في سبيلها دافع متاصل فيه<sup>(3)</sup>. كما إن هنالك أفراد اصحاب طبع تسلطي، إذا ما اعيق ذلك الطبع، فان ذلك سيكون اعاقه لا حد سبل الحرية فيهم ما يجعلهم يظهروا قدراً من التدميرية ليس تجاه الآخر فحسب، بل تجاه انفسهم كذلك<sup>(4)</sup>. ويؤكد فروم لنا إن الإنسان لم يعيش في موطنه الاصلي حراً، بل عاش في درجات مختلفة من الاسر وعدم الحرية حتى في اكثر المجتمعات تحضراً، ما جعل الميل إلى التدمير يظهر عنده، وهو الميل ذاته الذي نجده عند الحيوانات، عندما توضع في حديقة الحيوانات، ذلك الميل الذي لا يظهر عندها في بيئتها الطبيعية<sup>(5)</sup>. والسبب في ذلك معروف، فوضعية السجن وما تسببه من تقليص للحرية والملل تقود الى التدميره<sup>(6)</sup>.

---

(1) المصدر نفسه ، ص 46 .

(2) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(3) فروم ، ايرك : تشريح التدميرية البشرية ج 1 ، ص 313 .

(4) فروم ، ايرك : الإنسان من اجل ذاته ، ص 183 - 184 .

(5) فروم ، ايرك : تشريح التدميرية البشرية ج 1 ، ص 175 .

(6) فروم ، ايرك : الإنسان المستلب ، ص 80 .



حتى العقل والمنطق، قد يشكل أحياناً قيوداً على الحريه، ما يجعل الإنسان يميل الى التدمير ليشعر باحساس الحيويه والقوة والتفوق على الآخرين. وقد اطلق فروم على هذا النوع من التدميرية - التعطش البدائي للدم - <sup>(1)</sup>. الا انه يستهجن كل ذلك، ويتضح هذا من تعريفه العقلاني للحرية بانها «ليست سوى القدرة على اتباع صوت العقل والصحة والوعي، مقابل اصوات الرغبات اللاعقلانية» <sup>(2)</sup>.

الحرب والتدميرية: المحنا الى علاقة الحرب والتدميرية في علاقة التقنية بها. ونحاول هنا التوضيح الدقيق لهذه العلاقة.

بحسب فروم، لعبة الحرب غالباً ما يحبها الاشخاص المحبين للموت <sup>(3)</sup> - النكرو فيليا - من جهة. كما انها غالباً ما تكون مماسسة، اي ينظمها اهل السياسة، من جهة أخرى.

وتهدف الى فتح ارض، او كسب العبيد او الغنائم او كلا الامرين <sup>(4)</sup>. وغالباً ما يلجأ السياسيون إلى إقناع الناس بايدولوجيات معينة، كإقناعهم انهم يفعلون ذلك دفاعاً عن حياتهم وحريتهم. ويدل ذلك على نقص التفكير الشكي النقدي لدى الناس، كما يدل ما اطلق عليه فروم - التبعية العاطفيه - <sup>(5)</sup>. وهذا إن دل على شيء فانه يدل على إن التدميرية

---

(1) فروم ، ايرك : جوهر الإنسان ، ص 65 .

(2) المصدر نفسه ، ص 176 .

(3) Fromm \ Erich : My Webspase Files Webspase. Ship. eda \ Caboer \ Fromm

(4) فروم ، ايرك : تشريح التدميرية ج 1 ، ص 240 .

(5) فروم ، ايرك : جوهر الإنسان ، ص 27 .

ليست فطرة في الإنسان، بل إن خبرتهم تجاه الآخر محدودة او شوهت بايدولوجيات معينة... إن اسوء ما في الامر هنا هو قطع العلاقات العاطفية مع الآخر، إذ تؤدي إلى شعور الإنسان إن من يقتلهم ليسوا بشر<sup>(1)</sup>. هذا من جهة الناس، ومن جهة اصحاب السياسة انفسهم، فان اغلب الحروب التي يتسببون لا تحدث «من خلال مقاصدهم السيئة، بل سوء تصرفهم غير المعقول للامور التي يعهد بها اليهم»<sup>(2)</sup>.

الامتلاك والكيونة والتدميرية : بداية يقر فروم بان التملك «وظيفة عادية لحياتنا، فمن اجل ان يحيا المرء، عليه ان يمتلك بعض الاشياء. ومن ناحية أخرى يجب علينا تملك بعض الاشياء بغية الحصول على لذة من هذا التملك. في حضارة يعتبر هدفها الاسمى التملك»<sup>(3)</sup>. الا انه مع ذلك يؤكد ان هدف الحياة هو تحقيق الكيونة - الوجود - لا التملك<sup>(4)</sup>.

يقول فروم ان النمطين الامتلاكي والكينوني، قائمان معا في الإنسان وضاربان في اعماق الطبيعة الإنسانية، لكن قوة الحاجات البيولوجية وارتباطها بضرورة البقاء هو ما يرسخ قوة النمط الامتلاكي<sup>(5)</sup>.

---

(1) فروم ، ايرك : تشریح التدميرية البشرية ج1 ، ص 203 .

(2) فروم ، ايرك : المجتمع السوي ، ص 104 .

(3) فروم ، ايرك : التملك والكيونة ، ترجمة محمد سبيلا

WWW.fikrwanakd.algabiribeded.net

(4) Fromm, Erich : On Being Human, Forword by Rainer Funk (New York. London : Continuum, 2005) P 127

(5) سبيلا ، محمد : ايرك فروم جذور التملك وآفاق الكيونة ، مقال في النت

WWW. Mohamed – Sabila. Com

والسؤال هل يمكن الاختيار بين التملك والكينونة، والتملك جوهر الكينونة، والذي لا يملك شيئاً لا يساوي شيئاً؟ يجيب فروم بان الفرق بين الكينونة والتملك يتعلق بمجتمع متمركز حول الأفراد، ومجتمع متمركز حول الاشياء<sup>(1)</sup>.

وفروم يناهز باختيار الكينونة، لان ما يعطي معنى للحياة هو الخروج من الذات نحو الآخرين، والتضامن معهم ومشاركتهم كل شيء. بتصريح يذكرنا بمبدأ المشاركة والتداعي الفلسفي والاخلاقي. ويعد المفكر المغربي (محمد سبيلا) تصريح فروم ذلك، بانه تبشير بنوع من اليوتوبيا اطلق عليه (اليوتوبيا الإنسانية)<sup>(2)</sup>. اما كيف يمكن ان يحل مبدأ الكينونة محل مبدأ الامتلاك، فيمكن ذلك عن طريق «عقلنة الاستهلاك الفردي، باقتناء الضروري والاستغناء عن الثانويات مثلاً، او بعدم الخضوع لآغراءات العوالم المصنعة (ماكدونالد، عالم الديزني الخ»<sup>(3)</sup>.

لقد عملت الرأسمالية على تنمية مبدأ الامتلاك، لانه مبدأ سيساعد على انتشار الحروب والويلات في هذا العالم، ما يخدم مخططات الدول الرأسمالية وفلسفتهم في اقضاء الآخر ونهاية التاريخ الخ<sup>(4)</sup>. وقد رفض فروم كل ذلك من منطلق فلسفته الإنسانية من جهة، وقد يكون رفضه لها كونه يهودي اي ينتمي الى فئة الاقلية التي حاولت الامبرياليات المعاصرة سحقها من جهة أخرى.

---

(1) فروم ، ايرك : التملك والكينونة ، مقال في النت .

(2) سبيلا ، محمد : ايرك فروم جذور التملك وآفاق الكينونة .

(3) فروم ، ايرك : الإنسان المستلب ، ص 13 .

(4) المصدر نفسه ، ص 18 - 19 .

البيئة والتدميرية: اشرنا إلى إن التدميرية ليست فطرة او غريزة في الإنسان، وان هنالك ظروف معينة هي التي تساعد على بروزها. من هذه الظروف - البيئة - فالبيئة المرضية يمكن إن توصل إليها<sup>(1)</sup>. ومن انواع البيئة، البيئة الاجتماعية. فقد اكد فروم إن المجتمع هو الذي يحدد سلوك الفرد<sup>(2)</sup>.

الخوف والقلق والتدميرية: اكد فروم إن معظم التدميره سببه الخوف<sup>(3)</sup>. فعلى سبيل المثال، قد ينشا دافع المرء الى تدمير الآخرين من خوفه من ان يدمره الاخرون<sup>(4)</sup>. ويؤكد ان الخوف والقلق قد رافق الإنسان الحديث بخاصة، الإنسان المتحرر من الروابط القروسطية ما جعله يبحث عن امان جديد في خضوعه لقائد او عرق او دولة<sup>(5)</sup>. اضافة الى ان الإنسان بالاصل لديه - ضعف وجودي - لذلك نجده دائما يربط نفسه بما اسماه فروم ب - المساعدين الساحرين - كالمعلمين او القادة السياسيين الخ<sup>(6)</sup>. كما ان ذلك الضعف والخوف قد ساعد على خلق - النرجسية الجماعية - بمختلف اشكالها الدينية والقومية والعرقية ... والتي ادت بالعالم الى شفير الدمار الكلي. وقد

---

(1) فروم ، ايرك : فن الاصغاء ، ترجمة محمود منقذ الهاشمي ، سوريا ، 2013 ، ص 101 - 102.

(2) فروم ، ايرك : الانسان المستلب ، ص 9 .

(3) فروم ، ايرك : مساهمة في علوم الإنسان ، ص 127 .

(4) فروم ، ايرك : الإنسان من اجل ذاته ، ص 142 .

(5) فروم ، ايرك : المجتمع السوي ، ص 97 .

(6) فروم ، ايرك : فن الوجود ، ترجمة إيناس نبيل سليمان ، سوريا ، 2011 ، ص 104.

اطلق فروم على النرجسية الجماعية هذه اسم - التعايش السفاحي - والذي يعكس رغبة الإنسان بالحماية، وتوقه التحرر من المسؤولية، وتوقه الحصول على الحب غير المشروط - الحب دون توقع مقابل -<sup>(1)</sup>.  
بالتعايش يصير الإنسان متعلقاً بمضيفه - إنسان، دولة او قد يكون رابط شعوري فقط (عبادة الأسلاف) - وإذا ما تعرض ذلك التعلق لاي تهديد يؤدي إلى شعور الإنسان بالخوف او القلق. إما خطورته الأكبر فتمكن في إن صاحبه «لا يتمتع بحرية إن يكون نفسه، ولا بحرية امتلاكه قناعاته الخاصة به، ولا بحريته وحقه بارتكاب الاخطاء فهو بالتالي لا يستطيع الانفتاح على العالم»<sup>(2)</sup>.

اللذة والدعاية والتدميرية: عن علاقة اللذة بالتدميرية، يؤكد فروم ان الإنسان يحصل على اللذة من خلال التدمير، يقول «يبدو ان الإنسان هو وحده الذي ينال اللذة في تدمير الحياة من دون اي سبب او قصد غير التدمير»<sup>(3)</sup>. وعن علاقة الدعاية التي نروج لها من خلال قيمنا وصحفنا وافلامنا ... وما ينشأ عن ذلك من تدميرية لدى الإنسان يقول «اعظم قيمنا هي ان تكون اقوى من الآخرين، وان نغزوهم ونقهرهم ونستغلهم ... واي شخص غير قادر على استخدام العنف انما هو شخص ضعيف «اي ليس رجلاً»<sup>(4)</sup>. ويقول «ليس عرضنا للوحشية والقسوة في كتبنا وافلامنا الهزلية، لان المال يجنى بهذه السلع، كافيا

---

(1) فروم ايرك : جوهر الإنسان ، ص 130 .

(2) المصدر نفسه ، ص 142 .

(3) فروم ، ايرك : تشريح التدميرية البشرية ج1 ، ص 295 .

(4) فروم ، ايرك : الإنسان بين الجوهر والمظهر ، ص 151 .

لتفسير تنامي الهمجية وبطر التخريب؟»<sup>(1)</sup>. وفي كتاباته استهجن فروم الادب والدعاية التي تصور الإنسان مدفوعا الى التدميرية بالفطرة او التدميرية التي يصعب التحكم فيها<sup>(2)</sup>.

الاستجابة الدفاعية والتدميرية: اطلق فروم على هذا النوع من التدمير ،- التدمير غير الخبيث - وهذا النوع يشترك فيه الإنسان مع الحيوان، وهو في خدمة بقاء الفرد والنوع، ويزول عندما يزول التهديد<sup>(3)</sup> ورغم ان الحيوان يشترك فيه مع الإنسان الا انه يكثر عند الإنسان لان المصالح التي يدافع عنها اكثر من التي للحيوان. ولان للإنسان قدرة على رؤية اخطار لا وجود لها في الواقع من خلال غسل دماغه بالايديولوجيات او الدعايه ... وللإنسان القدرة على التنبؤ والتخيل، لذلك هو لا يستجيب لمجرد الاخطار والتهديدات الحالية او لذكريات الاخطار والتهديدات، بل للاخطار والتهديدات التي يتصور انها ممكنة الحدوث في المستقبل<sup>(4)</sup>.

الاستجابة اللعوبة والارتكاسية والتدميرية : هي انواع من التدمير، غير خبيثة كذلك. فالتدمير اللعوب هدفه ابداء المهارة لا التدمير<sup>(5)</sup>. والارتكاسي هو نوع من الاستجابة الدفاعية كذلك.

هدفه الدفاع عن الحرية والكرامة والملكية، هدفه البقاء لا التدمير<sup>(6)</sup>.

---

(1) فروم ، ايرك : المجتمع السوي ، ص 291 .

(2) فروم ، ايرك : ثورة الامل ، ص 219 .

(3) فروم ، ايرك : تشريح التدميرية البشريه ج 1 ، ص 39 .

(4) المصدر نفسه ، ص 309 - 310 .

(5) فروم ، ايرك : جوهر الإنسان ، ص 25 .

(6) المصدر نفسه ، ص 26 .

والحقيقه ان التدمير هو تدمير مهما كان هدفه وتصنيفاته، وبالتالي كله خبيث ومستهجن باعتقادنا.

انتهينا من عد الاسباب المفضية إلى التدميرية، واتضح لنا إن من بينها اسباب رئيسه كالنقطة الاولى والثانية وما تبعها من اسباب التدميرية الخبيثة يمكن إن يكون توضيح وشرح لها. كانت الاسباب متداخلة والواحدة مفضية إلى الاخرى، مسببات عدة لهدف واحد هو التدمير وبعد ذلك العرض، تبقى على عاتقنا عرض الكيفية التي حاول فروم من خلالها الحد، ان لم نقل، التخلص من التدميرية.

### ثانيا: علاج المشكلة (عقلنة التدميرية):

قبل ان نستعرض في الكيفية التي عمل بها فروم على عقلنة انواع التدميرية، لا بد لنا من طرح سؤال، لماذا اخترنا العقلنة كعلاج لمشكلتنا؟ وهل صرح فروم مباشرة انه عمل على عقلنة التدميرية من خلال كتاباته ؟ ام كانت لنا رؤية شخصية واسباب جعلتنا نقرر ذلك؟ الحق ان فروم طرح اسباب الدوافع التدميرية في الإنسان ثم اشر وسائل علاجها. الا اننا وجدنا انه عمل على عقلنتها للاسباب الآتية.

اهتم فروم بالعقل وكان دائم التعويل عليه، والتاكيد لاهميته وخاصة العقل التساؤلي النقدي، وذلك في كل مؤلفاته تقريبا.

عرفه بانه «ملكة الإنسان التي يجب ان تمارس، من اجل ان تنمو»<sup>(1)</sup>. وهو «القدرة على استخدام التفكير لـ (الفهم) بموضوعية،

---

(1) فروم ، ايرك : المجتمع السوي ، ص 172 .

اي معرفة طبيعة الاشياء كما هي في ذاتها، وليس لمجرد انها وسيلة لا رضائه»<sup>(1)</sup>. فهو «ملكة الفكر الموضوعي»<sup>(2)</sup>.

إما تعريفه للعقلي فهو «اي فكر، او شعور، او عمل يدعم الاداء الوظيفي المناسب للكل الذي هو جزء منه ويدعم نمو هذا الكل، وغير «العقلي» على ما من شأنه إن يضعف او يدمر الكل»<sup>(3)</sup>. وعرف الإنسان العاقل بانه من يعرف «المعرفة بمعنى التفكير الذي يحاول إن يفهم لب الظواهر، التفكير الذي ينفذ من السطح المخادع الى التفكير الذي غرضه هو الا يستغل بل ان يفهم»<sup>(4)</sup>. وتتجلى اهمية العقل عنده في اقواله ان الإنسان لا يمكن ان يشعر انه آمنا في نفسه وسيد حياته الا اذا انمى عقله وحبه<sup>(5)</sup>.

وان حياة الافراد وحياة البشرية تعتمد على امكانية استخدام العقل لاختراق الاحساس<sup>(6)</sup>. ان من مواصفات الشخص الصحيح ذهنيا عنده انه «لا يخضع لسلطة غير عقلية، ويقبل السلطة العقلية للعقل والضمير بطيب نفس»<sup>(7)</sup>.

ذلك ان السلطة العقلية تسمح بالتمحيص والنقد المستمرين لمن

---

(1) فروم ، ايرك : تشريح التدميرية البشرية ج 1 ، ص 351 .

(2) فروم ، ايرك : فن الحب ، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد ، بيروت ، 2000 ، ص 108.

(3) فروم ، ايرك : تشريح التدميرية البشرية ج 1 ، ص 407 وفن الاصطغاء ، ص 101.

(4) فروم ، ايرك : ثورة الامل ، ص 96 والمجتمع السوي ، ص 286 .

(5) فروم ، ايرك : المجتمع السوي ، ص 176 .

(6) فروم ، ايرك : مساهمة في علوم الإنسان ، ص 90 .

(7) فروم ، ايرك : المجتمع السوي ، ص 396 .



هم خاضعون لها، وهي قائمه على المساواة بين السلطة والتابع على حد سواء<sup>(1)</sup>.

وبعد كل ذلك يتسائل، لماذا لا تستخدم اكثرية البشر العقل لتبين مصالحهم الحقيقية بوصفهم بشراً؟<sup>(2)</sup>. أخيراً نجده يصرح بان «فلسفة الاخلاق الإنسانية لا تتنافى مع السلطة العقلية»<sup>(3)</sup>. وهذا هو صلب ما لمسنه في فلسفته الاخلاقية الإنسانية، انها فلسفة قائمة على العقل. وتلك هي الاسباب التي جعلتنا نطرق باب العقلنه كحل لمشكلتنا او علاج لتشخيص الدوافع المرضية للتدميرية. لكن ما معنى العقلنه؟ إذا كان العقل Raison يطلق على اسمى صور العمليات الذهنية بعامة، والعقلية هي مجموعة الاستعدادات الفكرية والعادات الذهنية والاعتقادات الاساسية لدى فرد من الافراد او في مجتمع من المجتمعات<sup>(4)</sup>. والعقلانية Rationalisme هي القول باولية العقل<sup>(5)</sup>. فان العقلنه غير ذلك كله. فهي مصطلح جديد لم نتمكن من العثور على معناه في المعاجم الفلسفية التقليدية الكلاسيكية.

العقلنه Rationalization مصدر عقلن، هي التسويغ والتبرير.

نوع من الحماية الالادراكية التي يقوم بها العقل في حالة تعرضه

---

(1) فروم ، ايرك : الإنسان من اجل ذاته ، ص 44 - 45 .

(2) فروم ، ايرك : تشريح التدميره البشرية ج 1 ، ص 404 .

(3) فروم ، ايرك : الإنسان من اجل ذاته ، ص 45 .

(4) مذكور ، ابراهيم : المعجم الفلسفي ، القاير ، 1983 ، ص 120 - 121 .

(5) صليبيا ، جميل : المعجم الفلسفي ج 1 ، بيروت ، 1982 ، ص 90 .

للضغط او القلق لمواجهة الخوف الشخصي او المشاكل<sup>(1)</sup>. وهي تحمل معنى اعطاء اسباب القيام بشيء ما، دون ان تكون هذه الاسباب حقيقية ولكنها اكثر قبولاً لدى المجتمع من الاسباب الحقيقية. وهنا يكون المعنى الضمني. إن الإنسان الذي يقدم هذه الاسباب إنما يخادع نفسه دون إن يعتمد الكذب وهذا ما يسمى بالتبرير. وتعني العقلنة كذلك تنظيم الامور والإعمال على نحو تتحقق معها اهدافها باقصى قدر من الكفاءة<sup>(2)</sup>. وهي عملية جعل الشيء مقبولا بعد عملية تفكير وتحليل، بالاعتماد على ملكة العقلانية<sup>(3)</sup>. والعقلنة مسار معرفي اخلاقي في مقاربة مشكلات الواقع الاجتماعي بتشعبياته وتعقيداته ومناحيه واتجاهاته المختلفة، وهو المسار الامن الذي تعتمد الامم الحية التي تسعى الى التقدم والتنمية وحل المشاكل بعيداً عن الانفعال والتعصب والانجراف وراء الغرائز والاهواء<sup>(4)</sup>. ان التعريفين الاخيرين للعقلنة، هما الانسب للمحاولة التي قام بها فروم لعقلنة الدوافع التدميرية. اذ اعتمد على الملكة العقلانية لجعل ما هو غير مقبول من هذه الدوافع مقبولا بعد ايجاد البدائل الصحيحة من منطلق إنساني اخلاقي بحث يهدف الى وضع الحل لا هم مشكلة تواجه المجتمع الإنساني.

---

(1) معجم المعاني الجامع ، معجم عربي عربي WWW. almaany. Com

(2) WWW. islamic Fora marab. Com

(3) المختار ، صلاح : صحيفة 26 سبتمبر ، العدد 1154 ، 2014 ، ص12 Net 26 Sep. WWW

(4) فياض زهير : العقلنة كاساس لبناء المستقبل ، مجلة تحولات ، العدد 32 ، 2008 .taha- WWW

نصل الآن الى معالجة حل مشكلتنا بالعقلنه، منح فروم لكل دافع تدميري حلاً او علاجاً خاصاً به. فعالج النكر وفيليا - كره الحياة - بالبيوفيليا - حب الحياة - يقول «ان وجود النزعات المضادة للنكر وفيليا وازديادها هما الامل الوحيد الذي لدينا، ان ذلك الاختيار العظيم، الذي هو «الإنسان العاقل» Hmosapiens لن يسقط»<sup>(1)</sup>. ووجد ضرورة إطلاق قدرات الإنسان الخلاقه - الإبداعية - والاستخدام المنتج لطاقاته البشرية، كعلاج لتلافي إحباط تلك الطاقة في الإنسان، ذلك إن إحباطها يوصله للتدميرية، كما اشرنا، وطالب المجتمع إن يرفد الإنسان ليستحل إمكانياته الإبداعية<sup>(2)</sup>. اي طالب المجتمع بان يوجه الإنسان التوجه الإنتاجي، بدل التوجه التلقفي و التسويقي اللذين يسودان اليوم، والتوجه الاستغلالي والادخاري اللذين كانا سائدين في القرن التاسع عشر<sup>(3)</sup>. واكد ان بديل خطر الروبوتيه هو الكوميونيتارية الإنسانية<sup>(4)</sup>. فبدل ال Community اي التحزب لفئة معينة، ان صح التعبير، طالب فروم التحزب للإنسانية بعامة حتى نحافظ على المشاعر الإنسانية من الجفاف. وعقلنة هذا الدافع على ارتباط شديد وعقلنته للخوف والقلق الناجم عن النرجسية الجماعية فعقلنة النرجسية الجماعية يكون - بحسبة - من خلال تحويل موضوع هذه النرجسية، بان يكون موضوعها الجنس البشري بدلا من العرق او الامة ....

(1) فروم ، ايرك : تشريح التدميرية البشرية ج 2 ، ص 134 - 135 .

(2) فروم ، ايرك : المجتمع السوي ، ص 181 .

(3) فروم ، ايرك : المجتمع السوي ، ص 489 .

(4) المصدر نفسه ، ص 490.

وبانشاء مؤسسات فوق قومية، مثل الامم المتحدة، وخلق يوم يحتفى به هو يوم الإنسان<sup>(1)</sup>. رغب ان يحل الحب كرابطة محل رابطة الارض او الدم ... إذ يرى في القومية وثنيتنا وجنوننا، إذ إن «محبة الفرد التي تستبعد محبة الآخرين ليست محبة، فان حب المرء لبلده حبا لا يكون جزءاً من محبته للإنسانية ليس حبا، وإنما هو عبادة وثنية»<sup>(2)</sup>. يقول إن الحب، الرغبة للاندماج مع شخص آخر، هي اكبر توقان لدى الإنسان، واشد عواطفه جوهرية. هي القوة التي يمكن إن تحافظ على تماسك الجنس البشري. لذا من الضروري استغلال تلك النقطة لصالح الإنسانية وإلا وصلنا إلى الدمار<sup>(3)</sup>. إما الخوف والقلق الناجم عن تحرر الإنسان من الروابط القروسطية. فان علاجه بالعودة للاهتمام بالعالم الروحاني، على اعتبار ان هذا العالم «يخول للإنسان ان يكون إنسانا بنجاحاته واحباطاته، بسعاده وتعاسته، بخوفه وشجاعته الخ»<sup>(4)</sup> كما ان فقدان الامل، يمكن ان يعالج بالوسيلة ذاتها، اذ يقول «ان الإنسان الذي يحاول ان يعيش دون اعتقاد (ايمان) يصبح عقيما، دون امل وخائفا في عمق وجود»<sup>(5)</sup>. مع ضرورة الاشارة الى انه لا يفترض في الاعمال الروحية فكرة المقدس او المحرك الذي لا يتحرك ... من المسميات الميتافيزيقية وكعلاج للامتلاك، طالب فروم باحداث تغيرات في الملكية. بمنع حافز الربح في توجيه الانتاج الى الاتجاهات المؤذية

(1) فروم ، ايرك : جوهر الإنسان ، ص 120 - 121 .

(2) فروم ، ايرك : المجتمع السوي ، ص 166 .

(3) فروم ، ايرك : فن الحب ، ص 26 .

(4) فروم ، ايرك : الإنسان المستلب ، ص 10 .

(5) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

اجتماعيا، والتوزيع المتساوي للدخل للحد الذي يمنح كل شخص الاساس المادي لحياة كريمة<sup>(1)</sup>. بدل التعايش السفاحي، طالب فروم بالاستقلال والحرية. إذ آمن بحرية الإرادة يقول «نحن لسنا ضحايا الظروف الذين لا عون لهم، بل نحن فعلا قادرون على تغيير القوى في داخلنا وخارجنا والتاثير فيها والتحكم، إلى حد ما»<sup>(2)</sup>. والعقلنة - باعتقادنا - لا يمكن إن تحدث بغير التوجيه التعليمي، وهذا ما لم يهمله فروم، إذ اكد على اهمية التوجه بالتعليم إلى موضوعات تدعو للوحدة الإنسانية كالانثروبولوجيا والفلسفة<sup>(3)</sup>. وتطوير الفكر العلمي الذي يمكن به ان نقلل من شان النرجسية<sup>(4)</sup>. وتحدث عن عقلنة التدميرية الدفاعية بالقول، انه يمكن الحد منها بتقليل العوامل الواقعية التي تحركها «كالحالة دون تهديد الاخر للفرد او الجماعة بتوفير الحياة الكريمة لكل الناس. الحُول دون ان يعيش الناس في ظروف حديقة الحيوان» بان تعاد لهم الحرية، تعليم الناس التفكير النقدي المستقل اذ ان ذلك يقلل من الطاقه العمياء للسلطات»<sup>(5)</sup> نصل الان الى كيفية عقلنته للحرب ارجانها للنهائية لنفرد لها مساحة كافية، اذ انها تعد الممارسة العملية المباشرة للتدميرية. وكان فروم قد اهتم بإعطاء نقاط عدة لعقلنتها. يقول بان ذكاءنا اليوم يعيننا على

---

(1) فروم ، ايرك : المجتمع السوي ، ص 490 .

(2) فروم ، ايرك : الإنسان من اجل ذاته ، ص 262 .

(3) فروم ، ايرك : جوهر الإنسان ، ص 121 .

(4) المصدر نفسه ، ص 109 .

(5) فروم ، ايرك : نشرح التدميره البشرية ج 1 ، ص 337 - 338 .

إنتاج اسلحة، لا يقوى عقلنا على السيطرة عليها<sup>(1)</sup>. فما الحل؟ الحل برايه يكون بإلغاء تهديد الحرب الذي يندرنا جميعاً، اقتصادياً بتحقيق التقاسم النسبي للثروة والتوزيع العادل للموارد الاقتصادية، والإدارة المشتركة للمشاريع الاقتصادية. وسياسياً بنزع الاسلحة بالكامل وإنشاء الحكومة العالمية<sup>(2)</sup>. ويقر بانه للان «لم نجد ايا من الدول الكبرى قد قامت بخطوة واحدة تمكن من إعطاء الامل للجميع : التخلص من اسلحتها النووية، والثقة بالآخرين من إن يكونوا عقلاء بما فيه الكفاية فيقفون خطتهم»<sup>(3)</sup>. فروم اقر بان التدميرية امكانية في البشر، الا انه وصف النظرة التي ترى بان الحرب طبيعية لانها نتيجة الطبيعة التدميرية للطبيعة البشرية، بانها نظرة انهزامية يجب عقلنتها<sup>(4)</sup>.

فما الخطوات التي طرحها لعقلنته هذه الطبيعة؟ بداية رفض كبت هذه الطبيعة يقول «كبت المجاهدات الشريرة هو ذلك النوع من القمع الذي ترتكي عليه فلسفة الاخلاق التسلطية صراحة او ضمناً بوصفه آمن سبيل الى الفضيلة. ولكن على حين انه من الصحيح ان الكبت وقاية من العمل، فانه اقل جدوى بكثير مما يعتقده المدافعون عنه. وكبت دافع يعني ازاحته عن الوعي ولكنه لا يعني إزالته عن الوجود»<sup>(5)</sup>.

(1) فروم ، ايرك : المجتمع السوي ، ص 288 .

(2) المصدر نفسه ، ص 490 .

(3) فروم ، ايرك : ثورة الامل ، ص 48 .

(4) فروم ، ايرك : جوهر الإنسان ، ص 19 وفن الوجود ص 124 - 125 .

(5) فروم ، ايرك : الإنسان من اجل ذاته ، ص 257 .

إما الحلول البديلة للكبت التي طرحها فهي أولا : الاستخدام الإنتاجي لإمكانيات الإنسان يقول «ليست غاية الفلسفة الاخلاقية الإنسانية كبت نوازع الشر في الإنسان (التي يغذيها الاثر المشل للروح التسلطية) بل الاستخدام الإنتاجي لإمكانيات الإنسان الاولى المتصلة»<sup>(1)</sup> ومثال على ذلك يقول «يجب إن يطلق الشاعر جنونه، بكل بهاء وعطاء، لكي يزيد النكهة الحماسية للعناصر البدائية»<sup>(2)</sup>. ويبدو هنا اثر كل من الفيلسوفين الالمانيين نيتشه وهيدجر Nietzsche-Heidegger على الفيلسوف الالمانى الاصل، اذ بدأت معهما الدعوة بالخلاص الإنسانى من خلال الفن بعامة والشعر بصورة خاصة. والحل الآخر الذي طرحه هو توفير عناصر المغامرة يقول «اذا وفرت الحياة المدنية عناصر المغامرة، والتضامن، والمساواة، والمثالية التي يمكن ان توجد في الحرب، فقد يكون من العسير سوق الناس الى خوض الحرب»<sup>(3)</sup>. وهذا الحل ليس بالجديد كذلك. اذ قال به الكثير من الفلاسفة ودعاة السلام كبرتراند رسل B.Russell وثالث حل طرحه هو تطوير الميل التقدمي، يقول ان كبت الدوافع البدائية يمكن ان تعود مع اي ظرف كالحرب او الكارثة الطبيعية او التفكك الاجتماعى ...

بينما اذا تم استبدالها بتطوير الميل التقدمي، فان الظروف لن تؤثر في عودتها<sup>(4)</sup>. وآخر حل طرحه هو تغيير نظام القيم والاخلاق الراهنة.

---

(1) المصدر نفسه ، ص 258 .

(2) فروم ، ايرك : جوهر الإنسان ، ص 75 .

(3) فروم ، ايرك : تشريح التدميرىة البشرية ج 1 ، ص 335 .

(4) فروم ، ايرك : جوهر الإنسان ، ص 163 .

«لكي يتجنب عالم الغرب دماراً مادياً محققاً، فيجب تغيير نظام القيم والاخلاق الراهنة، واتخاذ موقف جديد من الطبيعة»<sup>(1)</sup>.

نهاية، إذا ما اعدنا السؤال الذي طرح مرة أخرى، لماذا العقلنة ؟ نجيب : لانه آمن إن التدميرية هي حالة غير عقلية «الإخفاق الذي يؤدي إلى نشوء الاهواء غير العقلية، ولا سيما المجاهدات المتعلقة بسفاح الحرم، والتدميرية، والاستغلالية...»<sup>(2)</sup>. فمع كل الحلول والعلاجات التي طرحها، نجده يتوسل بالعقلنة والحب براغماتياً بصورة خاصة. يقول «ليس في الإنسان مصدر آخر للطاقة اقوى منه. وليس الإنسان حراً في ان تكون لديه او لا تكون لديه (مثل) ولكنه حر في ان يختار بين انواع مختلفه من المثل، بين ان يكون متفانياً في عبادة القوة والتدمير وان يكون مخلصاً للعقل والحب»<sup>(3)</sup>. ويقول لن يفلح الإنسان في تحويل عالمه الى «وطن إنساني حقيقي، الا عندما يفلح في تنمية عقله وحبه تنمية اكبر مما فعل حتى الآن، وعندما يستطيع ان يبني عالماً قائماً على التضامن والعدل الإنسانيين، ويستطيع ان يشعر بالترسخ في تجربة الإخوة الشاملة»<sup>(4)</sup>. ويقول «إذا عاش المرء في اوهام حول قطاع من قطاعات الحياة، فان قدرته على العقل تتقيد او تتضرر، وبذلك ينكبج استخدامه للعقل فيما يتصل بكل القطاعات الاخرى. والعقل في هذه الناحية مثل الحب. وكما ان الحب توجه يشير إلى كل الموضوعات

---

(1) فروم ، ايرك : الإنسان بين الجوهر والمظهر ، ص 15 .

(2) فروم ، ايرك : المجتمع السوي ، ص 395 .

(3) فروم ، ايرك : الإنسان من اجل ذاته ، ص 83 .

(4) فروم ، ايرك : المجتمع السوي ، ص 168 .



ولا يتلاءم مع قصره على موضوع واحد، فإن العقل ملكه إنسانية يجب إن  
تشمل كامل العالم الذي يواجهه الإنسان»<sup>(1)</sup>.

---

(1) المصدر نفسه ، ص 172 - 173 .

## الخاتمة: نحو مجتمع افضل ...

لم نرد ان تكون خاتمتنا تقليدية، نستعرض بها خلاصة باهم النتائج التي توصلنا اليها خلال بحثنا. اذ اننا استعرضنا النتائج التي رغب فروم الوصول لها، من خلال حديثنا عن الحلول - العقلنة - التي طرحناها لفض اشكالية بحثنا. لذلك آثرنا الذهاب اعمق الى قراءة ما وراء السطح - كما علمنا فروم نفسه - لقد رغبنا بيان الهدف الرئيس الذي حاول فروم الوصول له حينما بحث في التدميرية. وتوصلنا الى انه اراد بلوغ مجتمع صالح سليم. ومن المهم الاشارة الى اننا لم نتوصل لذلك لان له مؤلف - يحمل عنوان - المجتمع السوي - فحسب. بل لانه اشار لذلك في معظم مؤلفاته.

ما جعلنا نعهده واحداً من القائلين بالمجتمعات العالمية الفاضلة. واحدة من إشارته يقول فيها «الرؤى التي كانت يوتوبيه عن البوذا، والانبياء، ويسوع، واليوتوبيون الإنسانيون في عصر النهضة سوف يتم تبنيها بوصفها حلولاً عقلية واقعية تخدم البرنامج البيولوجي للإنسان»<sup>(1)</sup> في هذا النص نجده يؤكد تبنيه لحلول اليوتوبيين، وهو على علم بانها لم تخدم الإنسانية وقتها، إلا انه يؤمن بإمكانية تحقيقها في

---

(1) فروم ، ايرك : تشریح التدميرية البشرية ح 1 ، ص 339 .

زمان آخر وظروف أخرى «اقصد بذلك إن اقول انها كانت «يوتوبية» لانها لم توجد في الوقت الحاضر في اي مكان محدد، ويمكن الا توجد، ولكن اليوتوبية لا تعني انها لا يمكن ان تتحقق في الزمان، في زمان آخر»<sup>(1)</sup>. اي هو هنا يؤكد لنا ان اليوتوبيات لم تكن غير ممكنة التحقق لانها كانت خيالية، فقد وضح لنا ان حلولها عقلية وواقعية. الا ان الظروف هي التي اعاقت تحققها، وبازالة تلك المعوقات يمكن لنا بلوغ المجتمعات الفاضلة. ومثل تلك المجتمعات كانت رغبتة اذ لطالما بين رغبتة بمجتمع صحي عقليا واجتماعيا<sup>(2)</sup>. ويقول «ما يهمني هو مجتمع يكون فيه هدف التنظيم الاجتماعي هو التطور الاقصى للفرد وحرية»<sup>(3)</sup>. والحقيقة ان كل من رغب بالمجتمعات الفاضلة، توسل بالتربية وآمن باهميتها في بلوغ غايته. وفروم وان لم يكن له مؤلفات خاصة بها، إلا إن له وقفات في جل مؤلفاته، عبر فيها عن آرائه التربوية اخترنا منها قوله «الوظيفة الاجتماعية للتربية هي تاهيل الفرد لاداء الدور الذي عليه إن يلعبه فيما بعد في المجتمع، اي تعديل شخصيته بطريقة تقارب الشخصية الاجتماعية وان تتطابق رغباته مع ضرورات دوره الاجتماعي»<sup>(4)</sup>. إما موقف فروم من إمكانية تحقيق هدفه - المجتمع الذي حلم به، فهو «موقف الذين هم ليسوا «متفائلين»

---

(1) المصدر نفسه ، ص 405 .

(2) Fank \ Rainer : Erich Fromm (mitselbstzeugnissen and Bilddokumenten) (Hamburg : Row-oblt Taschenbuch Verlag, 1983) P 119

(3) فروم ، ايرك : الإنسان المستلب ، ص 13 .

(4) فروم ، ايرك : الهروب من الحرية ، ص 228 .

وليسوا «متشائمين»<sup>(1)</sup>. تبقى لنا ضرورة الإشارة الى اننا، ونحن نعد فروم واحدا من القائلين بالمجتمعات الصالحة، لا نرى انه كان يوتوبيا كاسلافه القائلين بذلك النوع من المجتمعات. ذلك ان جل الاسس التي اعتمدها لبلوغ ذلك المجتمع كانت علمية وواقعية، ويمكن اذا ما عمل الإنسان بها مع التعقل وسيطرته على هواه، بلوغه. اي - بحسب ما صرح فروم نفسه - العمل ضمن الممكن واقعياً<sup>(2)</sup>. وقد كان للاستاذ محمد سبيلا وجهة نظر في هذه النقطة، اذ انه يذكر لنا ان فروم تآثر بتعاليم بوذا، القديس او غسطين، ماركس، ومن اثر على جل الفلاسفة الالمان ايكهارت 1327 - 1260 E khart وان حضور الاخير بالذات لشاهد على بعد صوفي في (اليوتوبيا الفرومية) بدعوته لحياة زهيدة تخلو من شهوة التملك، لانها ما يفقدنا الحرية واستبدالها بالكينونة - الوجود - التي تجعلنا نعمل وننتج ويكون لنا حضور قوي في الحياة<sup>(3)</sup>. والحق إنني وان كنت اشاطر الاستاذ سبيلا رايه بان بعض ما قاله فروم يا خذنا إلى نوع من التفاؤل اليوتوبي. إلا إننا يجب إن لا نبخسه حقه ونتجنى بالحكم على إن كل فلسفته الاخلاقية الإنسانية التي حاول بها الوصول لمجتمع معافى كانت قائمة على افكار يوتوبية. اذا اهملنا الجزء ونظرنا الى كل فلسفته، لوجدنا انها لا يمكن ان تكون مجرد حبر على ورق لا تصلح للتطبيق. خاصة وإنها كانت قائمه على اسس علميه واقعية - على ما شرنا - تتمثل بالمزيج السحري من العلوم

(1) فروم ، ايرك : تشريح التدميرية البشرية ج 1 ، ص 244 .

(2) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(3) سبيلا ، محمد : ايرك فروم جذور التملك وآفاق الكينونة ، مقال من النت.

التي اعتمدها والتي اهمها علم النفس وعلم الاجتماع إضافة للفلسفة. لقد اعتدنا إن نسمي كل من حلم بمجتمع فاضل إنه يوتوبي. واعتقد إن اليوتوبيا ليست هي الاسس التي يبنى عليها القائل اقواله - وهذا ما صرح به فروم كما اسلفنا - بل انها في طبيعة الإنسان نفسه - طبيعة نسبية، متقلبة، مزاجية، صعبة المراس - هي التي كانت عائقا إمام كل الحلول النظرية، مهما كانت علميتها او رصانتها، إن تتحول إلى ممارسة .

اخيرا نجد اهمية تاثير نقطة على علاقة محورية وموضوعنا، هي الدوافع التي دفعت فروم الى البحث في دوافع التدمير، والتي اوصلته بالتالي، وبطريقة عفوية وتلقائية الى ان يعد واحد من فلاسفة العصر الداعين الى المجتمعات العالمية الصالحة. لم نذكر تلك الدوافع بداية بحثنا لاننا اثرنا توضيحها اولا ليتسنى للقارئ رؤية الصورة بعامه بشكل اوضح بعد ذلك، عندما يربط بين ما دعا فروم للتفكير بهذه الدوافع التدميرية واسبابها التي بينها بالذات، وبين الاسباب التي دفعته لذلك التفكير.

تلك الدوافع- كما ذكر لنا بنفسه- هي الحوادث والتجارب التي مر بها في شبابه، والتي دفعته لدراسة اسباب الافعال الانسانية بعامه، ومنها فعل التدميرية.

اهم تلك الدوافع كانت:

- 1- مزاجية والده واكتئاب والدته، وصديقة الاسرة التي انتحرت<sup>(1)</sup>.

---

(1) فروم، ايرك: ما وراء الاوهام، ترجمة صلاح حاتم، سوريا، 1994، ص11.

2 - اهم حدث اثر فيه ووجه ذلك التوجه،واقصد الحرب العالمية الاولى 1914 وابتهاج استاذة - استاذ اللاتينية - بها رغم ادعاءه السابق انه من انصار السلام.وفي المناسبة ذاتها كان الدرس الذي تعلمه من مدرس اللغة الانجليزية عندما رفض زملائه اداء واجبهم في حفظ النشيد الوطني الانجليزي لانه نشيد الدولة التي هي على حرب ودولتهم-المانيا-.اذ يقول ان مقولة استاذة،لا تظللوا انفسكم،فانجلترا لم تخسر حربا حتى الان.جعل صوت -العقل والواقعية- يعلو على صوت الحقد الجنوني،كما ان جملة استاذة الهادئة السليمة-بحسبه- كانت بالنسبة له كشفا واناره<sup>(1)</sup>.

ويذكر انه كلما طالت الحرب كلما استحال الطفل في الى رجل، وصرت اسال لما يقتل الناس ويعاني اهلهم؟وكيف يمكن ان يعتقد كلا الطرفين انهما يقاتلان من اجل السلام والحريه؟ كل تلك الاسئلة جعلته يضرر سوء ظن عميق في كل الايديولوجيات،وصار على اقتناع انه يجب الشك في كل شيء<sup>(2)</sup>.

3 - كونه يهودي ومن اسرة متدينة يقول:كنت صبيا يهوديا في بيئة مسيحية، وذلك جعله يحس بالغربة والتميز المتحيز الضيق تجاه الناس من الجنس الاخر،بحسب ما ذكره لنا،كما جعله يتاثر بكتب العهد القديم، بخاصة المقاطع التي ذكرها لنا في كتابه - ما وراء الاوهام - تلك المقاطع التي كانت تدعو الى السلام والانسانية، اذ اكد انها من حركت مشاعره حول السلام العالمي

---

(1) المصدر نفسه ص14-15.

(2) المصدر نفسه ص16.

وافكار الانسجام والوئام بين الشعوب كلها<sup>(1)</sup>. وهي -باعتقادنا- دافعه المهم للوصول الى مجتمع عالمي غير فتوي. فنجد ان اغلب الدعوات المعاصرة في الحوار واهمية التعايش السلمي والمجتمعات التعددية صدرت عن فلاسفة يهود.

فاذا كانت اثار الماضي دافع فيلسوفنا الانساني لخلص الانسانية والوصول الى المجتمع الفاضل, فان دافعه الجديد, والذي يمكن ان نضيفه لدوافع الماضي هو ما اكده بنفسه بالقول (اود ان اؤكد انني لا افعل هذا بدافع الاحساس بالواجب فحسب. فكلما بدا عالمنا يزداد جنونا وتجردا من الانسانية اشتد احساس الفرد بالحاجة الى ان يندمج مع رجال اخرين ونساء اخر ارتبطوا مع بعضهم عن طريق الاهتمام بالانسانية)<sup>(2)</sup>.

---

(1) المصدر نفسه ص12-13.

(2) المصدر نفسه ص17.

## المصادر

فروم، ايرك :

- ازمة التحليل النفسي، ترجمة طلال عتريسي، بيروت، 1988
- الإنسان بين الجوهر والمظهر، ترجمة سعد زهران، مراجعة وتقديم لطفي فطيم الكويت، 1989
- الإنسان المستلب وآفاق تحرره، ترجمة وتعليق حميد لشهب، تقديم راينر فونك الرباط، ب. ت
- الإنسان من اجل ذاته، ترجمة محمود منقذ الهاشمي، دمشق، 2007
- المجتمع السوري، ترجمة محمود منقذ الهاشمي، دمشق، 2009
- التملك والكينونة، ترجمة محمد سبيلا، ب. ت
- الهروب من الحرية، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد، بيروت، 1972
- تشريح التدميرية البشرية ج 1، ترجمة محمود منقذ الهاشمي، دمشق، 2006
- تشريح التدميرية البشرية ج 2، ترجمة محمود منقذ الهاشمي، دمشق، 2006
- ثورة الامل، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد، القاهرة، 2010



- فن الاصغاء، ترجمة محمود منقذ الهاشمي، سوريا، 2013
- فن الحب، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد، بيروت، 2000
- فن الوجود، ترجمة إيناس نبيل سليمان، سوريا، 2011
- ما وراء الاوهام، ترجمة صلاح حاتم، سوريا، 1994
- مساهمة في علوم الإنسان، ترجمة محمد حبيب، سوريا، 2013
- جمعة، قاسم : النظرية النقدية عند ابرك فروم، بيروت، 2011

#### المصادر الانجليزية:

- From، Erich : On Being Human، Forword by Rainer Funk (New York. London : Continuum, 2005)
- Funk، Rainer : Erich Fromm (Mitselbs tzeugnissen and bilddokumenten) (Hamburg : Rowohit taschenbuch Verlag, 1983)

#### مقالات النت بالانجليزية :

- Fromم، Erich : The Free encyclopedia en. Wikipedia.org
- Fromم، Erich : my Webpace Files Webpace. Ship.edul Cgboer \ Fromm

#### مقالات النت العربية :

- المختار، صلاح : صحيفة 26 سبتمبر، العدد 1154، 2014 WWW Sep. Net
- سبيلا، محمد : ايرك فروم جذور التملك وآفاق الكينونة، WWW. Mohamed - Sabila. Com
- فياض، زهير : العقلية كاساس لبناء المستقبل، مجلة تحولات،

- WWW. Islamic Foramarabou. Com

### المعاجم:

- صليبا، جميل : المعجم الفلسفي ج 1، بيروت، 1982
- مدكور، ابراهيم: المعجم الفلسفي، القاهرة، 1983
- معجم المعاني الجامع، معجم عربي WWW. almaany. Com



الدراسة الفلسفية الثالثة:

التقدم العلمي - التقني وازمة العالم

(قراءة في فلسفة ادغار موران المستقبلية)



## المقدمة

يوضح عنوان بحثنا بعض توجهات فلاسفة ما بعد الحداثة postmodernism، ممن توجهوا بسهام نقدهم الى الحداثة modernity وهو ما قام به ادغار موران (1921 - Edgar Morin) (العالم الاجتماعي والفيلسوف الفرنسي المعاصر، والاسباني اليهودي الاصل<sup>(1)</sup>) عندما توجه بالنقد لبعض اوجه الحداثة والعقل الاداتي، مستعيضاً عنه بالفكر المركب Complexus. والحقيقة ان معظم كتاب وفلاسفة الفترة المعاصرة، يعيشون هاجساً مميزاً لم يكن في حسابات معظم فلسفات العصور المنصرمة من تاريخ الفكر الفلسفي. اقصد هاجس التطور العلمي التقني الذي كان بالاصل انتصاراً على هاجس خوف الإنسان من الطبيعة، ذلك الهاجس الذي دفعه لاختراع الاسلحة التي يمكن له ان يواجه بها ذلك الخوف، إلا انه تمادى في تطويرها لدرجة اصبح فيها تحت رحمة تهديد وخوف جديد، هو تهديد الاسلحة التي طور ما جعل الانسانية في ازمة krisis جعلت الاقلام تتسابق لسبر اغوارها وتجتهد في التنظير لما آلت لها وتقترح

---

(1) [org / wiki/Edgar-Morin en-wikipedia](http://org/wiki/Edgar-Morin_en-wikipedia)

الوسائل لحلها. وكان موران واحداً من تلك الاقلام لاسيما وهو يصف نفسه بالحرص على فهم العالم والحقيقة بشكل كامل والا بقي في قلق<sup>(1)</sup>. كما ويصف نفسه بانه يميني ويساري في الوقت ذاته يقول «(يميني) بمعنى انني حساس جداً، إزاء مشاكل الحريات وحقوق الانسان، والانتقالات بدون عنف، و(يساري) بمعنى انني اعتقد انه بإمكان العلاقات الانسانية والاجتماعية بل يجب عليها ان تتغير في العمق<sup>(2)</sup>»، والواقع ان الاعتدال والوسطية وذلك الفكر المركب هو اهم الدوافع التي دفعتنا الى البحث في افكار ذلك الفيلسوف، بتسليط الضوء عليها وتحليلها والتعليق عليها. ذلك اننا اليوم بامس الحاجة لذلك النوع من الافكار، للحد من الفكر المتطرف واثره التخريبي في مجتمعاتنا. بنا حاجة لاعادة تاهيل مجتمعاتنا، وتوير العقول وتحذيرها من اثر التطرف. وكنا قد وجدنا ان مكتبتنا العراقية تكاد تخلو من الدراسات حول ذلك الفكر الفلسفي. ما زاد دافعنا للبحث فيه. عنوان البحث يؤشر باننا امام ازمة، هي ازمة التقدم العلمي - التقني وواجهها المختلفة، وهنا تتوجب الاشارة، اننا لانعني انه ليس لذلك النوع من التقدم جوانبه الايجابية. مثلما لا يعني ان موران لم يتحدث عن جوانبه المشرقة تلك في مواضع عدة من مؤلفاته. كما إنه لم يكتف بتاثير الازمة، بل اقترح الحلول لها. ما جعل مسار بحثنا يتكون من وضع اليد على الازمة اولاً، كما حددها موران، ازمة العالم الناشئة عن التقدم

(1) 0edgarmorin 0Org www

(2) موران، إدغار: مدخل الى الفكر المركب، ترجمة احمد القصور ومنير الحجوجي، المغرب، 2004 ، ص 98 .

العلمي - التقني، ثم بيان مقترحاته لحلها، انتهاء بتحديد طبيعة رؤيته للمستقبل بناءً على ذلك الازمة ونتائجها وما تؤول إليه.  
اولاً: الازمة

ازمة هي كلمة اغريقية مشتقة من الكلمة الاغريقية Krisis وتنتمي الى اللغة الطبية والى المدونة الابيقراطية<sup>(1)(\*)</sup>. وفي مؤلفاته المختلفة، تحدث موران عن الازمة بعامة، واراد بها تقدم ضروب اللايقين في كل مكان وفي كل شيء. يقول (وهذا يعني انه اذا استطاع الانبياء ان يتنبؤوا والعارفون ان يتبصروا، فان المشخصين لم يعودوا يستطيعون ان يتكهنوا. فالحاضر في ضياع، والكوكب يعيش، يترنح، يدور، يغرق، يفرقع من يوم الى يوم)<sup>(2)</sup>. كل ذلك يجعل من الغموض يبدو ويكبر في كل شيء<sup>(3)</sup>. وكان يرى بان نهاية القرن العشرين كانت مناسبة من اجل فهم اللايقين الحتمي للتاريخ البشري. ان ميزة هذا القرن تكمن في كونه اكتشف ما يمكن تسميته بفقدان المستقبل، اي استحالة التنبؤ به، وهكذا تم التخلي عن وهم امكانية التنبؤ بالمصير الانساني<sup>(4)</sup>. اي انه اكد ان المستقبل في ازمة<sup>(5)</sup>.

والازمة - براهيه (لا تظهر فقط عند حدوث انكسار داخل اتصال،

---

(1) موران، إدغار، بودريار، جان : عنف العالم، ترجمة إبراهيم محمود، سوريا، 2005، مقدمة فرانسوا ص 71 .

(\*) نسبة للطبيب الاغريقي القديم ابقراط .

(2) موران، إدغار، بودريار، جان : عنف العالم، ص 145 .

(3) موران، إدغار : الى اين يسير العالم؟، ترجمة احمد العلمي، السعودية، 2009، ص 41.

(4) موران، إدغار : تربية المستقبل، ترجمة عزيز لزرق ومنير الحجوجي، المغرب، 2002، ص 73 .

(5) موران، إدغار : هل نسير الى الهاوية؟، ترجمة عبد الرحيم حزل، المغرب، 2012، ص 28 .



اوعند حصول زعزعة داخل نسق كان يبدو ثابتا، لكنها تظهر ايضا عندما تتكاثر الاحتمالات وبالتالي التقلبات<sup>(1)</sup>. وازافة لازمة الاليقين تحدث موران عن ازمة كانت في المجتمعات القديمة الا ان معالمها لم تتضح الا مع العصر الحضاري هي البربرية<sup>(2)</sup> barbarie. وما لمسناه من كتاباته انه اراد بها الاشارة الى معان مختلفة اهمها، الجانب السلبي للتقدم العلمي - التقني. وما رافقة من مظاهر كالتخصص والاختزال المعرفي، وبروز نزعة الانا ونبذ الآخر والمختلف. يقول: (تمثلت احدى مظاهر البربرية الاوربية في نعت الآخر المختلف بالبربري عوض الاحتفال بهذا الاختلاف واخذه كفرصة للاغتناء والمعرفة والعلاقة بين البشر)<sup>(3)</sup>.

وحتى يخرجها عن الطابع الخاص والمحدد، اطلق عليها (الازمة الكوكبية) و اشار الى صعوبة معالجتها بسبب تعقيدها<sup>(4)</sup>.

وفيما يلي سوف نفصل الحديث في الازمة وافرازاتها المختلفة، وكما اشرها موران في مؤلفاته، لنبين بعد ذلك هل ستصل صعوبة معالجتها الى درجة الاستحالة، ام هناك امكانية لحلحلتها؟

التقدم العلمي: حسب موران بدات فكرة التقدم بالظهور في عصر الانوار مع تسيد العقل اذ صار (العقل يقود الانسانية نحو التقدم وبذا يصبح التقدم هو القانون المحتوم للتاريخ)<sup>(5)</sup>. لكن لماذا وكيف يمكن للتقدم العلمي ان يحدث ازمة ؟ عندما تكون فيه نقاط ضعف يمكن لها

---

(1) موران، إدغار : الى اين يسير العالم ؟، ص24.

(2) موران، إدغار :ثقافة اوربا وبربريتها، ترجمة محمد الهلالي، المغرب، 2007، ص 7-8.

(3) المصدر نفسه، ص 27-28 .

(4) موران، إدغار، بودريار، جان، : عنف العالم، ص 73 .

(5) موران، إدغار : هل نسير الى الهاوية، ص 38 .

ان تشوّهه او ان تعوق مساره. وكان موران قد وجه سهام نقده لنقاط الضعف تلك بعد ان عمل على تشخيصها، ثم بين لنا ما ينبغي ان يكون عليه التقدم. وجد موران ان التقدم يحمل في نفسه خاصية ازماتية، فالتغير المتسارع يؤدي الى فك البنيات، وفساد اجتماعي واقتصادي وثقافي<sup>(1)</sup>. ويضرب مثلاً بالتقدم البيولوجي الذي تم انطلاقاً من كائن حي وحيد الخلية، وكيف كان ثمن ذلك التقدم انقراض اصناف عددها اكثر بالاف المرات من الاصناف المتصارعة من اجل البقاء اليوم<sup>(2)</sup>. وكان يرى بان هناك مفهوميّن اسسا لفكرة التقدم، مفهوم التطور اللاماركي - نسبة للعالم لامارك Lamarck ، واللاماركية نظرية تعلل تطور الكائنات الحية بتاثير البيئة في سلوكها وتشكلها العضوي. اما المفهوم الاخر الذي اسس لفكرة التقدم، فهو مفهوم منطق التعقيد، اي الظروف المعقدة، اذ يرى ان التعقيد الاقصى امر محتمل جداً ما يمكن ان ينتج فرضية حدوث كارثة كونية كاحتمالية مستقبلية، خاصة ان التعقيد ينطوي على مخاطر باطنية فهو ليس ذا مسار مستقيم<sup>(3)</sup>، وهذه احدى ازمات التقدم التي يمكن ان تعالج بتاصيل الشعور بالتضامن، اي عيش افراد المجتمع كجماعة واحدة<sup>(4)</sup>. ان التقدم يؤدي الى تدمير ما قبله، كما انه لا يوجد تقدم بل لعبة مزدوجة بين التقدم والتقهقر<sup>(5)</sup>.

لذلك يتوجب (هدم فكرة تقدم بسيط، مضمون، ويسير في اتجاه

---

(1) موران، إدغار : الى اين يسير العالم، ص 25 .

(2) المصدر نفسه، ص 33 .

(3) موران، إدغار : النهج، ترجمة هناء صبحي، ابو ظبي، 2009 ، ص 257-260 .

(4) المصدر نفسه، ص 260 .

(5) موران، إدغار: الى اين يسير العالم؟ ص 36.

واحد، والنظر الى التقدم على انه متقلب في طبيعته متضمن لتقهقر  
كامن في مبدئه ذاته<sup>(1)</sup>. والازمة الاخرى التي واجهت التقدم ونتجت عنه  
في ان هي كونه كان نتيجة ازدواجية العقل - الجنون، يقول (لقد كانت  
العلاقات الحوارية بين العقل الجنون على الدوام خلاقة ومبدعة بقدر ما  
كانت مخربة)<sup>(2)</sup>. ذلك انه كان يعتقد بوحدة الطبيعة البشرية وتعددتها  
في آن<sup>(3)</sup>. كل ذلك حمل القرن العشرين على المصادقة لمصادقية القاعدة  
الفضيعة، التي ترى ان التقدم الانساني هو عبارة عن نمو في قوة  
الموت، بحسب موران<sup>(4)</sup>. من قبل الموت النووي، بحكم انتشار اسلحة  
الدمار الشامل، وتدهور المحيط الحيوي، الذي اطلق عليه الموت البيئي  
الذي بدا منذ سبعينيات القرن الماضي، فضلاً عن الاشعاعات الطبيعية  
والمزابل والتبخرات<sup>(5)</sup>.

فمعارف ذلك القرن وان امدتنا بقدرات هائلة لتنمية حيواتنا  
وتطويرها، الا انها في الوقت نفسة طورت قدرات هائلة للموت. يقول  
ان القرن العشرين (اطلق طاقة خارقة على الخلق والابتكار وطاقة  
جبارة على السيطرة والتدمير)<sup>(6)</sup>. كما وواجه العالم ازمة نتيجة لكون  
التقدم العلمي والاقتصادي لم يتضمن تقدماً في الثقافة والاخلاق  
يكون موازياً لذلك التقدم والتقدم بحسب موران ينبغي ان يكون على

---

(1) موران إدغار : النهج، ص 261 .

(2) موران، إدغار : تربية المستقبل، ص 56 .

(3) [www.wise-qatar.org](http://www.wise-qatar.org).

(4) موران إدغار : تربية المستقبل ص 64 .

(5) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(6) موران إدغار : هل نسير الى الهاوية ؟ ص 25 .

المستويات كافة ذلك ان ما يسمى بالتقدم في المجتمعات الغربية بخاصة اليوم، رافقه تخلف نفسي واخلاقي وحالات عجز واضحة<sup>(1)</sup> .. يقول (انني من بين اولئك الذين يعتقدون ان التطورات التقنية والاقتصادية لحضارتنا مرتبطة بتخلف سيكولوجي واخلاقي)<sup>(2)</sup> ولان للتقدم اهمية للعالم واهله قدم لنا موران تخريجه نرى انه استمدتها من فلاسفة قبله كنيته Nietzsche، وهيدجر Heidegger. وهي العودة الى الماضي والاستلهام منه لافادة الحاضر والمستقبل. يقول (اذا مات التقدم، حينئذ لا جدوى من المستقبل. وعندما نفقد المستقبل وعندما يكون الحاضر مغلقاً وبائساً، ماذا بقي لانجازه؟ الطريقة الوحيدة للخلاص من هذا الاحراج هي العودة الى الماضي الذي يكف عن كونه نسيجاً من الاقصاءات ليصبح ملاذاً)<sup>(3)</sup> . ويقول (التقدم الحقيقي يجب ان لا ينطلق من الحاضر، بل يقتضي العودة الى الطاقات البشرية التوليدية، اي يقتضي اعادة توليد فالانسانية تنطوي على مبادئ لتجدها)<sup>(4)</sup> . وقد رغب موران في ان لا يكون التقدم مستمراً على الدوام بل متجدداً على الدوام<sup>(5)</sup> . فكل تقدم به حاجة للتجديد مستمر<sup>(6)</sup> . اخيراً اكد لنا وجهة نظر خاصة به، امن بها اذ قال (ان التخلي عن التقدم الحتمي حسب ما تمليه (قوانين التاريخ) لا يعني التخلي عن

(1) موران، إدغار : بودريار، جان : عنف العالم، ص 82 .

(2) موران إدغار : النهج، ص 259 .

(3) موران، إدغار ،بودريار، جان : عنف العالم، ص 78 .

(4) موران، إدغار، : هل نسير الى الهاوية، ص 78 .

(5) المصدر نفسه، ص 43 .

(6) موران، إدغار : النهج، ص 259 .

التقدم ككل، بقدر ما يعني الاعتراف بطابعه اللايقيني والهش. فالتخلي عن التطلع نحو افضل العوالم، ليس هو على الاطلاق التخلي عن الامل في عالم افضل<sup>(1)</sup>.

## -التقدم التقني

فضلاً عن محاولة الانسان السيطرة على الطبيعة، كان من الاهداف الرئيسية لبروز التقنية - بحسب موران - سد الحاجات البشرية. فالانسان يمتلك اليدين الماهرتين الا انهما ضعيفتان في الامساك والضرب، ما جعله يستعين بالتقنية لتحقيق احلامه وطموحاته اصطناعياً<sup>(2)</sup>. والتقنية ازدهرت في العصر الحجري الاخير<sup>(\*)</sup>، وتطورت بتطور الحضارات، سيطرت على المادة واستثمرت الطاقات ودجنت عالمي النبات والحيوان. لكن انطلاقها المدهشة جاءت اعتباراً من القرن الثامن عشر في اوربا الغربية اولاً، ثم في جميع انحاء العالم، خاصة مع اقترانها بالعلم<sup>(3)</sup>. فالتقنية على علاقة قوية مع العلم، حتى ان ارتباطهما معاً على مر الزمن، روج للحديث عما يسمى علماً تقنياً في القرن العشرين<sup>(4)</sup>. بينما صارت التقنية العلمية عامل تغيير وتحريك في القرن الواحد والعشرين<sup>(5)</sup>. ذلك ان العلم ما فتئ (يزداد مركزية في

---

(1) موران، إدغار : تربية المستقبل، ص 85 .

(2) موران، إدغار : النهج، ص 53 .

(\*) العصر الذي يؤرخ في الشرق الاوسط للمرحلة الواقعة بين الالف العاشر والالف السادس ق.م.

(3) موران، إدغار : النهج، ص 53 .

(4) المصدر نفسه، ص 253

(5) موران، إدغار، : هل نسير الى الهاوية ؟ ص 23 .

المجتمع، فهو على حضور في المنشآت، وفي الدولة، وارتبط ارتباطاً وثيقاً بالتقنية وانتج سلطات عملاقة افلتت من تحكم العلماء. واليوم، يطور العلم التقنيات التي تطور بدورها العلوم، ويدور الحديث اليوم عن التقنية العلمية : اذ انتجت المعرفة بالذرة تقنيات السلاح الذري والطاقة النووية، وانتجت المعرفة بالجينات صناعة اصبحت قادرة على التلاعب بها فالعلم والتقنية مرتبطان، وكذلك التقنية، والصناعة والربح. ان هذا المحرك الرباعي هو الذي يحرك كوكبنا الذي فقد توازنه<sup>(1)</sup>. والتداخل الوثيق بين التقنية والعلم في عالمنا المعاصر، بينه لنا بمثال التلسكوبات، إذ اسهمت في تطوير المعرفة العلمية الخاصة بالاجسام اللامتناهية الصغر، واللامتناهية الكبر، وذلك دليل على ان التقنية تسهم بدورها في تطوير العلم<sup>(2)</sup>. إلا ان تلك التقنية، مع كل إسهاماتها الايجابية، باتت تشكل ازمة. إذ إنفلتت من عقالها بتخلصها من الانسانية المنتجة لها<sup>(3)</sup>. وذلك - بحسب موران - لان انبثاقها لم يكن عن الانسان العاقل، بل عن الانسان الفضولي يوم سخر النار<sup>(4)</sup>. من جهة، ومن اخرى هي انبثقت لا لحاجة مادية او منفعة او ضرورات تنظيم، بل رغبة في التسلط، انبثقت عن الذهان الهذيانى، والرغبة والحلم<sup>(5)</sup>. ما جعل التقدم التقني لا يرى الانسان، لا يرى الا الآلة الصناعية. ينتج البحبوحة في العيش. الا انه ينتج الضجر، والضجيج،

---

(1) موران، إدغار : النهج، ص285 .

(2) [www.startim.com](http://www.startim.com).

(3) موران، إدغار : ثقافة اوربا وبربريتها، ص6 .

(4) موران، إدغار: النهج، ص52 .

(5) المصدر نفسه، ص245 .

والتلوث، والفقر السيكلولوجي والاخلاقي والعقلي كذلك<sup>(1)</sup>. ويرجع موران التوجه السيئ للتقنية، الى طبيعة الانسان الشريرة، تلك الفكرة التي اشار اليها الكثير من الفلاسفة عبر تاريخ الفكر الفلسفي منذ افلاطون Plato، اذ يرى ان الانسان وعلى النقيض من الحيوانات (خيث ومدمر وتشكل قسوته جزءاً من قساوة العالم)<sup>(2)</sup>. فبينما لا يمارس القتل في عالم الحيوان (الا للدفاع عن النفس والحصول على الطعام، يطلق للعنف القاتل العنان لدى الانسان دون الحاجة لذلك)<sup>(3)</sup>. الا اننا نجده يعترف بامرین، الاول هو تباين نسب العنف الجنوني بين البشر، يقول (ان بذور هذا الضرب من الجنون موجودة في كل فرد، وفي كل مجتمع، وما يميز بعضنا من بعض هو تباين المقدرة في التحكم بجنوننا، والاعلان عنه، كتمانها، وتحويله)<sup>(4)</sup>. فضلاً عن اقراره بان واقع الانسان القاسي، يمكن له ان يساعد على زيادة قسوته، لاسيما اذا كان شديد الوعي والحساسية. في مقولة تظهر اثر المدرسة الوجودية الفلسفية existentialism فيه. يقول (الواقع قاس بالنسبة الى الكائن البشري المقذوف به على الارض جاهلاً مصيره، وخاضعاً للموت، غير قادر على التخلص من الماتم الحتمية ومن تقلبات الدهر ومن الآلام والعبودية والخبث المتاصل في البشر، ويكون واقع الانسان اكثر قسوة اذا كان شديد الوعي والحساسية)<sup>(5)</sup>.

(1) موران، إدغار : الى اين يسير العالم؟، ص 30

(2) موران، إدغار : النهج، ص 173 .

(3) المصدر نفسه، ص 143 .

(4) المصدر نفسه، ص 144 .

(5) المصدر نفسه، ص 173 .

ان الشر والعنف المتاصل في الانسان، يلتقي اليوم مع شر وعنف جديد اوجدته التقنية، بحسب موران، يقول (تطلع علينا الهمجية الحقودة من اغوار التاريخ لتتكالب مع الهمجية التي لا نعرف لها صفة، تلك الهمجية الباردة الصقيع المتمثلة في التقنية الخاصة بحضارتنا)<sup>(1)</sup>. اذ ان التقنية لا تعرف سوى الحسابات، وتجهل الافراد، واجسادهم، ومشاعرهم، وارواحهم<sup>(2)</sup>. اخضعت العمال ومجموع المجتمع لمنطق الالة. وسخرتهم لمهام تكرارية ومقننة<sup>(3)</sup>. كما انها قضت على الكثير من المهارات الحرفية في جميع المجالات<sup>(4)</sup>. الا ان الازمة الاكبر والخطر الاعظم الذي نشا عنها يلتقي وخطر التقدم، الذي اشرنا له واقصد الموت بالتدمير الذاتي، ان من طريق تسمم المحيط الحيوي الذي نشكل نحن جزءاً منه<sup>(5)</sup>. او من طريق الحروب التي شنتها الدول التي تمتلك السلاح والسلاح النووي بخاصة. ففي العشرين سنة الاخيرة، حدثت صراعات وحروب اودت بحياة اثني عشر مليون قتيل<sup>(6)</sup>. اهمها الحربان العالميتان الاولى والثانية اللتان عملتا على تمزيق العالم<sup>(7)</sup>. وكان الغرب بخاصة، وبفضل التطور الصناعي فيه ابان القرن التاسع عشر، والذي منحه تفوقا عسكريا ساحقاً، هو من

(1) موران إدغار: هل نسير الى الهاوية ؟ ص 12 .

(2) موران، إدغار : النهج، ص 287 .

(3) موران، إدغار : هل نسير الى الهاوية، ص 26 .

(4) موران، إدغار : النهج، ص 257 .

(5) المصدر نفسه، ص 288 .

(6) المصدر نفسه، ص 142 .

(7) موران، إدغار : الى اين يسير العالم ؟، ص 44 .



اشعل فتيل اكثر الحروب، وعمل على استعمار العالم<sup>(1)</sup> (53). ان كل ما سبق ذكره، ادخل العالم في ازمة من نوع اخر هي الازمة الروحية، ما جعله يتوسل باليوغا Yoga والبوذية (\*) Buddhism لملا ذلك الفراغ الروحي في الحضارة المادية (54). تلك الازمات، الناتجة عن التقنية جعلت الاساطير الكبرى، وعود السعادة والتقدم - التي وعدت بها فترة الحداثة الفلسفية - في ازمة<sup>(2)</sup>. وهنا يتجلى نقد موران للحداثة ووعدوها. يقول انتهت اسطورة السعادة مع الجانب السلبي للتقدم، والمتمثل في التعب واستعمال المخدرات والعقاقير النفسية، والنزعة الفردية التي جعلت الانسان يشعر بتعاسة العزلة، حتى سعادة الامان فقدت مع بروز مخاطر جديدة<sup>(3)</sup>. وموران لا يخفي قلقه من مخاطر اخرى يمكن ان تنشأ عن الهيمنة التقنية - الحضارية، كخطر تدمير ثقافة ما، اذ يقول (يشكل تدمير ثقافة ما بفعل الهيمنة التقنية - الحضارية خسارة للبشرية جمعاء والتي يشكل تنوع ثقافتها احد اغلى كنوزها)<sup>(4)</sup>، وما تنبأ به، يتجلى اليوم على ارض الواقع من تدمير للثقافة العربية في سوريا والعراق بخاصة من قبل جماعات تمتلك من الشر والجهل والتقنية الكثير. والوعي - بحسب موران - هو ما يمكن ان يكون الخلاص الوحيد للحضارة، يقول (ليس من الاكيد بل من

---

(1) موران، إدغار: النهج، ص 269 .

(\*) اليوغا: مجموعة من الطقوس الروحية القديمة اصلها الهند. البوذية: من الديانات الرئيسة القديمة في العالم، اسسها بوذا .

(2) موران، إدغار: هل نسير الى الهاوية ؟ ص 29 .

(3) المصدر نفسه، ص 28 .

(4) المصدر نفسه، ص 28-29 .

المحتمل ان تصير حضارتنا الى التحطيم الذاتي، وحل ذلك يكون اذا وصلت السياسة والعلم والتقنية والايديولوجيا الى درجة الوعي بذلك<sup>(1)</sup>.

## ثانياً : افرازات الازمة

الاننا: او التمرکز حول الاننا egocentrism ان من اهم السمات التي اصلت لها فكرة الحداثة الفلسفية، هي الاننا، اذ جعلت الغرب في نقطة المركز، كما وجعلته ينظر الى الآخر على انه هامش بنظرة استعلائية كانت مثار سخط ونقد معظم فلاسفة ونقاد الفترة الفلسفية التي تلتها، والتي تدعى فترة ما بعد الحداثة. وكان لموران موقفه الخاص من تلك الاننا، التي لم تكن بطبيعة الحال، إلا نتيجة للتقدم الذي شهده الغرب على مختلف الاصعدة. وبخاصة التقدم الاقتصادي الذي شهده الغرب مع تقدم التقنية. فبرايه ان الإنسان الاقتصادي يجعل المصلحة الاقتصادية فوق كل اعتبار، ما يجعله يتبنى سلوكات متمركزة حول الاننا، يتجاهل الغير وتنمى - انطلاقاً من ذلك - بربريتها الخاصة<sup>(2)</sup>. حارب موران الفردانية والانانية الغربية المفرطة، وانتقد الحضارة الغربية لانها طورت الفردانية من طريق الاحتفاء بـ (الاننا) بتشديدها على الاستقلالية والمسؤولية. إلا انه من المهم التاكيد على انه لم يرد بذلك الانخراط الكامل في النحن هو طالب الايمان بالجماعة والصبر على الآخر فقط. اي انه نادى بالتوازن<sup>(3)</sup>. يقول

---

(1) موران، ادغار: تربية المستقبل، ص 53 .

(2) موران، ادغار: الى اين يسير العالم؟، ص 38

(3) موران، إدغار: ثقافة اوربا وبربريتها، ص 6 .

(تؤدي كل من نزعة التمرکز حول الذات، ونزعة التمرکز حول المجتمع، إلى انواع مختلفة من كره الاجانب ومن النزعات العنصرية، والتي يمكن ان تصل إلى حدود نزع صفة الإنسان عن الاجنبي)<sup>(1)</sup>. وسوف نفصل القول في الحلول التي قدمها موران لحل تلك الازمة في سياق بحثنا

## - الاختزال:

هو الوجه الاخر الناتج عن التقدم العلمي - التقني. بحسب موران كانت جل العلوم حتى منتصف القرن العشرين تعمل بمبدأ الاختزال، اي اختزال معرفة الكل في معرفة الاجزاء، او اختزال ما هو مركب في البسيط، وكان مبدأ الاختزال نتيجة للاستقلالية التي تحققت للعقل في عصر النهضة، وازدهار العلوم مع غاليليو Galileo وديكارت Descartes وبيكن Bacon. اذ مكن لتحقيق ذلك الازدهار في العلوم، المعرفة لتحقيق، لكن بفصل موضوعاتها عن بعضها<sup>(2)</sup>. وتاصل ذلك المبدأ مع ديكارت. بخاصة عندما جاء بالثنائية الانفصالية، إذ فصل بين الذات المفكرة والشيء الممدود، ووضعه للأفكار الواضحة المميزة كمبدأ للحقيقية<sup>(3)</sup>. كما واصلت ذلك المبدأ الطهرية البروتستانتية كذلك. ما جعل الغرب في ازدواجية بين التمرکز على ثقافته وعرفه وذاته، ما ان يتعلق الامر بالذات، لانه مؤسس على الإعجاب الذاتي

---

(1) موران، إدغار: Classic0aawsat.com

(2) موران، إدغار: تربية المستقبل، ص 91.

(3) موران، إدغار: هل نسير الى الهاوية ؟ ص 37.

بالذات (الإنسان والامة او العرق والفرد) وبشكل موازي هو تسخيري ويتسم بالبرودة الموضوعية ما ان يتعلق الامر بالموضوع<sup>(1)</sup>. من المساوىء والعيوب التي يتسم بها ذلك المبدأ، وكما اشرها لنا موران، انه يقوم بإقصاء كل ما لا يقبل التكميم والقياس، حاجبا بذلك إنسانية الإنسان، من اهواء وعواطف ومعاناة وفرح. فضلاً عن انه يعمل على قمع الصدفوي والجديد ويسد الطريق امام الابتكار عندما يطبق المبدأ الحتمي بشكل صارم<sup>(2)</sup>، إذ ينغلق كل فكر ضمن قالب ويغدو غير قادر على معرفة العام والاساسي<sup>(3)</sup>. وفي المجال الاخلاقي، للاختزال نتائجه الوخيمة. وبين لنا موران ذلك من طريق مثال الشخصية، فهي بطبعها متعددة، واختزالها في احد خاصياتها يؤدي إلى عدم الفهم الاخلاقي. ذلك انه (إذا كانت هذه الخاصية ايجابية، فمعنى ذلك انه سيتم تجاهل الخاصيات السلبية لهذه الشخصية. وإذا كانت سلبية فمعنى هذا انه سيتم تجاهل خصائصها الايجابية، وفي كلتا الحالتين نحن امام عدم الفهم)<sup>(4)</sup>.

وفي متابعة للنقد المستمر الذي يوجهه لمبدأ الاختزال، نجده يقول (ان البساطة ترى اما الواحد واما المتعدد، ولكنها لا ترى ان الواحد قد يكون في الوقت ذاته متعدداً)<sup>(5)</sup>. وكان نقده للفكر الاختزالي

(1) موران، إدغار : مدخل الى الفكر المركب، ص 15 .

(2) موران، إدغار: المصدر نفسه، ص 56 .

(3) موران، إدغار : تربية المستقبل، ص 41 .

(4) موران، إدغار، بودريار، جان : عنف العالم، ص 83 .

(5) موران، إدغار : تربية المستقبل، ص 92 .

التخصصي هو جزء من نقده الفكر التقني البيروقراطي Bureaucracy الذي يعجز عن إدراك الشمولي، ويعجز عن إدراك تعقد المشكلات الإنسانية، فمع تعالق المشكلات مع بعضها، تعمل الابحاث الشخصية على عزل تلك المشكلات عن بعضها<sup>(1)</sup>. ما يؤدي إلى تولد هوة بين معارفنا المجزأة والوقائع او المشاكل التي هي شمولية<sup>(2)</sup>. فالافكار التي تفكك الشمولي انما هي جاهلة بطبيعة المركب الكوكبي، فعلى سبيل المثال، لا يمكننا تصور العلاقة بين الإنسان والطبيعة بطريقة اختزالية ولا بطريقة منفصلة<sup>(3)</sup>.

ويؤكد لنا بانه (إذا كان من الثابت ان العلم ينير الظلمات، فانه في الوقت نفسه يعمي الابصار بالنظر إلى انه لم ينجح بعد في انجاز ثورته المتمثلة في تجاوز الاختزالية وتجزئ الواقع اللذين تفرضهما التخصصات المنغلقة على بعضها. فالعلم غير قادر على ان يعيد تكوين الرؤى الشمولية)<sup>(4)</sup>. ان مبدا الاختزال يعمل على دفن القدرات الخلاقة في الفرد كما المجتمع، وحتى نحافظ على القدرات، يرى موران، ضرورة وجود ظروف ازمة، ذلك انه (كما ان الازمات تحرك الإمكانيات الكارثية او الارتدادية فانها تحرك كذلك إمكانيات خلاقة ومبتكرة)<sup>(5)</sup>.

---

(1) موران، إدغار : مدخل الى الفكر المركب، ص 61 .

(2) موران، إدغار: هل نسير الى الهاوية ؟ ص 54 .

(3) موران، إدغار : تربية المستقبل، ص 35 .

(4) موران إدغار : هل نسير الى الهاوية ؟، ص 59 .

(5) المصدر نفسه، ص 42 .

## ثالثاً: حل الازمة ورهان المستقبل

اكّد موران بأن حل الازمة، التي اشرنا اليها بتفرعاتها، لا يمكن ان يتم إلا من طريق التقدم الحقيقي<sup>(1)</sup>. ذلك ان البشرية - بحسبه - تطفو (على فوضى قد تؤدي إلى تحطّمها، وتعني كلمة فوضى هنا الوحدة غير الواضحة بين الخلق والتدمير لا نعرف ما الذي سيحصل، لكننا نعرف ان هناك هدراً ضخماً جداً وسيكون على اية حال في المستقبل، في الطاقات، وفي النوايا الحسنة، والحياة، وان التطورات الحالية، لا تخضع لفكر البشرية وحكمته، إذ يهيمن على اذهاننا تعقيد الحياة الذي لا يطاق)<sup>(2)</sup>. وفي مكان اخر نجده يؤكد بان (مسلسلات التراجع والتخريب اليوم اكبر واعظم ووبات المحتمل كارثياً)<sup>(3)</sup>. إلا اننا نلمس لديه، على الرغم من كل اقواله المحبطة تلك، املاً في ما هو غير محتمل ان مراهنته على غير المحتمل جاءت من اطلاعه واستشهاد به بخلايا الإنسان الجذعية إذ يقول (نحن نعرف على الصعيد الحيواني ان بعض الخلايا الجذعية الراقدة إذا تنبّهت كان من شأنها ان تعيد تجديد اعضائنا)<sup>(4)</sup>. وقد قارن ذلك بالكائن البشري بعامة، فالازمة هي ما يمكن ان ينبهه، فضلاً عن ان فيه استعداداً للتحوّل الذاتي. وموران كان قد صرح لنا بانه متأثر في فكرته هذه بالفيلسوف ماركس<sup>(5)</sup>

---

(1) المصدر نفسه، ص 151 .

(2) المصدر نفسه، ص 46 .

(3) موران، إدغار : النهج، ص 286 .

(4) موران، إدغار : هل نسير الى الهاوية ؟ ص 32 .

(5) المصدر نفسه، والصفحة نفسها .

Marx . ويضرب لنا مثلاً جميلاً عن إمكانية التحول الايجابي بتحول الدودة الى فراشة (فعندما تدخل الدودة في الشرنقة تبتدئ عملية من التدمير الذاتي لجسم الدودة فيها، ويتم في تلك العملية كذلك تكون جسم الفراشة، الذي هو الجسم نفسه وجسم اخر غير جسم الدودة في آن)<sup>(1)</sup> . وكما الفراشة، يرى موران ان البشرية تمتلك فضائل الجنسية التي تتيح تخلقات جديدة. يقول (وإذ صح ان تلك الفضائل قد انطمرت ودفنت تحت ركام التخصصات وشتى انواع التصلبات في مجتمعاتنا، فان الازمات المعقدة التي تهزنا وتهز كوكب الارض من شأنها ان تتيح حدوث التحول الذي بات شيئاً حيويًا)<sup>(2)</sup> . لذا نجده ينصح عدم الاستمرار في الطريق ذاته الذي سلكناه، إذ يجب علينا تغيير الطريق، يقول متبنياً مقولة الفيلسوف الوجودي ياسبرز Jaspers (إذا اراد الإنسان ان يعيش، فعليه ان يتغير)<sup>(3)</sup> . ومن المهم الإشارة إلى انه يرفض اطلاق كلمة ثورة على التغيير الذي دلنا عليه، ويستبدلها بكلمة تحول، يقول (من الواجب على كلمة، ثورة، ان تعني في مبدئها ذاته تحولاً متعدد الأبعاد، وتغييراً)<sup>(4)</sup> . ذلك انه ينتقد الثورة بمفهومها الكامل، اي التي تقوم على مسح القديم مسحاً كاملاً للماضي، وخلق عالم جديد بوسائل عنيفة ودائمة)<sup>(5)</sup> . ومعروف ان ذلك الرفض كان قد قال به كثير من الفلاسفة من قبلة كديوي Dewey على سبيل المثال.

(1) المصدر نفسه، ص 17 .

(2) المصدر نفسه، ص 17-18 .

(3) موران، إدغار: الى اين يسر العالم ؟ ص 83 .

(4) موران، إدغار: الى اين يسر العالم ؟ ص 83 .

(5) www.bayanealyaoume.press.Ma ء (5)

يقول ان الكلمتين (الإصلاح) و(الثورة) غدت اليوم غير كافيتين، وربما صار الافق الوحيد المتاح للخلاص هو التحول<sup>(1)</sup>، فضلاً عن كل ذلك يُضيف ان تخليه عن فكرة الثورة ، لانها تلغي الماضي بينما بنا حاجة لكل ثقافات الماضي وكل مكاسب فكر الماضي. ما جعله يستبدلها بفكرة التحول لانها تتضمن في الوقت نفسه القطيعة والاستمرار<sup>(2)</sup>. اما تعريفه للتحول ، فاراد به (استمراراً في الهوية وتحولاً في الجوهر معاً)<sup>(3)</sup>. يقول عن فكرته في التحول (لقد نسينا إننا كنا في بطون امهاتنا حيث كنا نعيش حياة اشبه بالمائية. ولقد عرفنا هنالك التحول لنصير كائنات بشرية)<sup>(4)</sup>.

وحتى يحدث التغيير والتحول الذي اراد ، قدم لنا مجموعة من المقترحات، هي بمثابة حلول لازمة العالم التي كان التقدم العلمي التقني المسبب الرئيس والمهم لها بحسب موران. وفيما يلي حلول الازمة وإفرازاتها.

## 1 - العقلانية والنقد الذاتي :

آمن موران بالعقل وقدرته الإبداعية التي واكبت التحديث على مدى التاريخ، ثم تسارعت واتسعت في القرون الاخيرة<sup>(5)</sup>. إلا انه في الوقت نفسه، وكما بينا، يعترف إلى جانب الإنسان العاقل sapiens

---

(1) موران، إدغار : هل نسير الى الهاوية ؟ ، ص 171 .

(2) [www.oujdacity.net](http://www.oujdacity.net)

(3) موران، إدغار : هل نسير الى الهاوية ؟ ص 30 .

(4) المصدر نفسه، ص 153 .

(5) موران، إدغار : النهج، ص 53 .



بوجود الإنسان المجنون Demems<sup>(1)</sup>، او وجود الحمق عند الإنسان إلى جانب العقل، والذي كان اليونانيون يسمونه hybris اي الإفراط والمغالاة الذي كانت تنشأ عنه البربرية الإنسانية، وبحسب موران، لاننا لا نكون داخل العقلانية rational بل العقلنة rationalisation التي تخدم الهوى وتقود إلى الهذيان، كان وجود تلك الثنائية في الإنسان، وانتفت إمكانية ان يكون ذا بعد واحد عقلائي<sup>(2)</sup>. ودليلة انه اباد جنسه كما فعل مع سكان استراليا الاصليين، والهنود الامريكيين، مثلما ابتكر الرق والسجن وإمكانيات موت قادرة على ابادته<sup>(3)</sup>. وحذر من ان جنونه هذا بإمكانه استخدام المنطق والعقلانية التقنية لتنظيم الافعال العدوانية وتسويغها<sup>(4)</sup>. وبذلك يمكن للإنسان ان يمتلك قدرات قد تكون مرعبة إذا ما تجردت من الوعي والمسؤولية<sup>(5)</sup>. لذلك نادى بمجموعة اقتراحات وجدناها متفرقة في مؤلفاته المختلفة، حاولنا جمعها تحت عنوان الحل بالعقلانية، لانه قال بها (الخطا والوهم يرافقان باستمرار نشاط الكائن البشري العقلي، وتناضل العقلانية باستمرار ضدهما)<sup>(6)</sup>. وقد حدد العقلانية التي طالب بها بالمنفتحة، ذلك ان العقلانية المغلقة لن يمكنها ان تدرك الحاجات الإنسانية وفهم

(1) المصدر نفسه، ص 80.

(2) موران، إدغار : ثقافة اوروبا بربريتها، ص 5-6.

(3) موران، ادغار : النهج، ص 140-141.

(4) المصدر نفسه، ص 144.

(5) المصدر نفسه، ص 134.

(6) المصدر نفسه، ص 121.

السمات البشرية العميقة للسحر والاسطورة<sup>(1)</sup>. كما انه اراد بعقلانيته المنفتحة، تجاوز العقل الاداتي الذي تحدث عنه ادورنو Adorno (ذلك العقل الذي يسخر لاسوا مشاريع القتل. بل وينبغي ان نمضي إلى حد تجاوز الفكرة القائلة بالعقل الخالص، إذ ليس من وجود لعقل خالص، وليس من وجود لعقلانية بدون شعور وبدون وجدان)<sup>(2)</sup>. لكن من المهم لنا التاكيد على انه لم يشأ بالعقلانية التي طالب بها التخلص النهائي من الجنون، الذي حرص على وجوده بجانب العقل كما اسلفنا، بل انه اراد التخلص من جوانبه المرعبة<sup>(3)</sup>. وفيما يلي سوف نبين المقترحات التي طالب بها، والتي من خلالها يمكن الحد من ازمة الجنون الإنساني والجنون المعاصر الذي طورته التقنية والتقدم العلمي بخاصة. والمقترحات هي:

- الثقافة: التي تنظم العلاقة بين البشر والواقع، فالإنسان العاقل لا يكتمل بوصفه إنساناً الا من خلال الثقافة. يقول (ما كان للثقافة ان تقوم دون قدرات العقل البشري، وما كان للكلام والفكر ان يوجد دون ثقافة)<sup>(4)</sup>. وتتجلى الثقافة، برأية من طريق العقوبات القانونية من جهة، وإدخال المعايير والممنوعات في اذهان الافراد منذ الطفولة من جهة اخرى، فضلاً عن حضرها بفعل قواعد المجاملة<sup>(5)</sup>.

(1) المصدر نفسه ، ص131.

(2) موران ، ادغار : هل نسير الى الهادوية ؟ ، ص44 .

(3) موران ، ادغار ، النهج ، ص155 .

(4) المصدر نفسه ، ص45 .

(5) المصدر نفسه ، ص142-143.

- الوعي: اي ان يعي الإنسان إمكانية الفناء المتبادل، وان الامر يعنيه،  
وانه يتوجب على كل فرد اداء دوره ورسالته (من اجل المهمة  
الاكثر عظمة التي لم يصادفها الإنسان ابداً: النضال المتزامن ضد  
موت النوع الإنساني ومن اجل ولادة الإنسانية<sup>(1)</sup>). والوعي الواجب  
ترسيخه لدى الإنسان - بحسب موران - على انواع انثروبولوجي  
anthropology الذي يعترف بوحدتنا في اطار تعدديتنا، وايكولوجي  
ecology وهو الوعي باننا كائنات تعيش في المحيط الحيوي  
والوعي المدني الذي يوجب المسؤولية والتضامن مع اطفال الارض.  
والوعي الحوارى والذي نحصل عليه من خلال التفكير المركب  
والحوار<sup>(2)</sup>. وسنفصل هاتين النقطتين في سياق البحث. ويحذر موران  
من ان الوعي ولد في التاريخ ويعيش فيه ويخضع له، لذلك هو  
متذبذب وهش كشعلة الشمعة قد ينطفئ من ادنى هبة ريح  
غريزية او هستيرية، ما يجعل مستقبل الإنسانية كذلك. يقول (الوعي  
اثمن الحواجز، لكنه اكثرها ضعفاً)<sup>(3)</sup>.

- الاخلاق: اكد لنا موران ان انعدام اي اساس للفكر والاخلاق،  
الذي تتسم به العدمية المعاصرة، ادى إلى انقلاب غريب<sup>(4)</sup>. وان  
إشكال التطور الواقعة في العلوم والتقنيات والصناعة والاقتصاد،

(1) موران ، ادغار ، الى اين يسير العالم ؟ ، ص 87 .

(2) موران ، اغار : تربية المستقبل ، ص 70 .

(3) موران ، ادغار ، النهج ، ص 145 .

(4) المصدر نفسه ، ص 171 .

وهي محرك الأرض اليوم، لا تحكمها الاخلاق<sup>(1)</sup>. لذلك نجده يشدد على  
الاخذ بها.

- الدين: من جهة أولى، وجه موران سهام نقده إلى الدين  
والميثولوجيا Mythology - الاسطورة - والسحر، لانها بحسبه، اعادت  
على نحو فضيع تاريخ البشرية وتسببت في جزء من الانحرافات  
التي ارتكبها الإنسان المجنون، وغالباً ما خنقت إمكانيات الفكر  
المستقل<sup>(2)</sup>. إلا انه من جهة أخرى بين اهميتها في اعادة التوازن  
للكائن البشري، وتمكينه من مواجهة القلق والالم والتواصل مع  
العالم الإنساني<sup>(3)</sup>.

- الفن واللعب: اثناء حديثه عن قطاع الجمال في عالمنا المعاصر،  
وفي اشارة ضمنية له، اتبع موران خطى بعض الفلاسفة الذين  
سبقوه<sup>(4)</sup>، ممن قالوا بان في الفن يكمن الخلاص الإنساني إذ  
قال: كرد فعل على الاجتياح المذهل للعقلانية التقنية لحضارتنا،  
تتصدى له الموسيقى والغناء والرقص، وان بإمكان الافلام  
والروايات الحزينة ان تنزل إلى اعماقنا كهوفنا الداخلية، إذ يسود  
العنف والبربرية ما يجعلنا نهرب من واقعنا، كما ان الحالات  
الجمالية، كاللعب، يمكن ان تنشئنا من الوضع التافه و العقلانية<sup>(4)</sup>  
واللعب، على سبيل المثال، كالرياضة التنافسية ولعب الورق

---

(1) موران ، ادغار : هل نسير الى الهاوية ؟ ، ص 11 .

(2) موران ، ادغار ، النهج ، ص 176 .

(3) المصدر نفسه ، ص 174 .

(\*) ابرزهم نيتشه .

(4) موران ، ادغار ، النهج ، ص 164-165 .

وافلام العنف يمكن ان تنظم العدائيه وتحولها، فاللعب يقحمنا في النزاع والمعركة، من دون النتائج الفضة للنزاع الحقيقي والمعركة الحقيقية<sup>(1)</sup>. وكما اكد بعض الفلاسفة من قبل على فن الشعر بالذات، نجد موران يؤكد عليه. إذ يقول اننا بالشعر يمكن ان نحيا الواقع بامتلاء مع التغلب على بشاعته، يقول (تمنحنا الحالة الشعرية احساساً بتجاوز حدودنا الخاصة بنا، والقدرة على التواصل مع مالا يبلغه إدراكنا)<sup>(2)</sup>.

- التعليم: مهمة التعليم الاساسية عند موران هي تهيئتنا للحياة، فهو يعلمنا محبة الاخر، وضرورة الربط بين المعارف، وان الانا داخله في نحن<sup>(3)</sup>. اي بالتعلم يمكن التخلص من كل النقاط التي اشرها موران، والتي هي اوجه ازمة العالم.
- السلطة التنظيمية والتحكيمية: والتي يمكن بها ومن طريقها تنظيم التطورات العشوائية لما اطلق عليه موران المحرك الرباعي المتكون من اتحاد العلم والتقنية والصناعة والربح<sup>(4)</sup>. كان موران يامل بعلم جديد تتحقق له اسباب التطور، وبتقنية تخلق آلات افضل واكثر إدراكاً للتعقيدات، وإقتصاد غير محكوم بقانون المنافسة الذي تقوم عليه الليبرالية Liberalis الجديدة. بل يقوم على قانون التجارة العادلة والاقتصاد التضامني، او ما اسماه الاقتصاد المواطن<sup>(5)</sup>.

---

(1) المصدر نفسه ، ص 176-177.

(2) المصدر نفسه ، ص 167 .

(3) [www.ereemnews.com](http://www.ereemnews.com) .

(4) موران ، ادغار ، النهج ، ص 282 .

(5) موران ، ادغار ، هل نسير الى الهاوية ؟ ، ص 42-43 .

وفضلاً عن العقلانية المنفتحة، قال موران بالعقلانية الناقدة، التي تقوم على النقد الذاتي، إذ أكد أن العقلانية الحقيقية هي التي تقوم على نقد ذاتي مستمر<sup>(1)</sup>. فالنقد الذاتي يتيح لنا بيان عيوبنا المشتركة، ما جعل موران يؤكد (إنه لشيءٌ ضروري أن نلجأ باستمرار إلى هذه الممارسة الذهنية المتجلية في الفحص - الذاتي، لأن فهم نقاط ضعفنا الخاصة أو نواقصنا، هو السبيل نحو فهم نقاط ضعف ونواقص الغير)<sup>(2)</sup>.

## 2-الفكر المركب:

اهتم موران بالتركيب، حتى إن فلسفته كانت خليط مركب من نظريات متعددة من الانثروبولوجيا entropy والسبرانية المنظمة organaization cybernetics والقانون المركب second lawi وغيرها<sup>(3)</sup>.

كما إن نظريته للانسان كانت مركبة، فهو ليس بعقل، ومدبر فحسب، بل هو مجنون كذلك<sup>(4)</sup> ويقول (إذا كان هناك بالفعل إنسان عاقل ومصنع ومسرف وناثر فهناك، ايضاً، إنسان الهذيان واللعب والإسراف والجمالية والتمثيل والشعر)<sup>(5)</sup>. إن الهوية الإنسانية هوية مركبة من مبدائي الخير والشر<sup>(6)</sup>. وقد وجه نداءه بالتخلي عن النظرة الاحادية للانسان بالقول (ينبغي للقرن الواحد والعشرين أن يتخلى عن

---

(1) موران ، ادغار ، تربية المستقبل ، ص 25 .

(2) المصدر نفسه ، ص 93 .

(3) [www.eoht.info/page/](http://www.eoht.info/page/) .

(4) موران ، ادغار ، ص 25 .

(5) المصدر نفسه ، ص 171 .

(6) [www.facebook.com](http://www.facebook.com) .

الرؤية الاحادية التي تنظر الى الانسان من وجهة نظر عقلانية (الانسان العاقل) وتقنية (الانسان الصانع) ونفعية (الانسان الاقتصادي)، ومن وجهة نظر حاجاته الضرورية (الانسان الثري). إن الانسان كائن مركب يتشكل من ازواج من الخاصيات المتعارضة..

العقل / الجنون

العمل / اللعب

الواقع / الخيال

الاقتصاد/ التبذير

النثر / الشعر<sup>(1)</sup>.

وفضلاً عن كل ذلك هو نقد الاختزال موضحاً إنه احد اوجه الازمة التي يمر بها العالم، والتي نشأت عن التقدم العلمي - التقني. كل ذلك جعله ياتي لنا بالبديل، وبديله هو مشروعه في الفكر المركب. ذلك إن إصلاح الكون - بإعتقاده - باصلاح اسس التفكير فيه، يقول (إنني أوّمن بمحاولة بناء فكر يكون اقل ما يمكن تشويهاً واكثر مايمكن عقلانية)<sup>(2)</sup>. إن إصلاح الفكر يمكننا ان نتعلم كيف نفكر بشكل جديد وشمولي، لاننا نلقن حسب فروع لا تتواصل فيما بينها، بينما العالم غير مقسم الى اصناف، وبراى موران، فان الفكر المركب هو الوحيد القادر على مواجهة تحديات عصرنا التي هي شمولية<sup>(3)</sup>. يقول (إن اصلاح الفكر

---

(1) موران ، ادغار ، تربية المستقبل ، ص54 .

(2) موران ، ادغار ، مدخل الى الفكر المركب ، ص99 .

(3) فهمي ، هشام ، كثيرون في اوربا يعتقدون الابدائل في العالم العربي عن الانظمة الدكتاتورية

. www.groops.google.com .

مشكلة إنسانية وتاريخية مهمة<sup>(1)</sup>. اما اهمية الفكر المركب فتتجلى في إنه يخرجنا عن الطابع الميكانيكي للحتميات، ويعمل على زعزعة الكسل الفكري ولا يعني ذلك إنه يرفض الثبات والحتمية رفضاً مطلقاً. غير إنه يعلم انها غير كافية، هو يذكر بان الواقع متحول وانه بإمكان الجديد ان ينبعث<sup>(2)</sup>. كما تتضح اهميته في إنه يساعد على الفهم، ذلك إن السياق مهم للفهم، لذا رفض موران نزع شيء من حقل من الحقول وعدم المبالاة بروابطه وتعالقاته مع وسطه، مثلما رفض القاعدة السائدة التي تقوم على إعتبار الدقة تزداد مع التخصص ومع التجريد<sup>(3)</sup>. غير إنه اكد، مع ذلك، إن الامر لا يتعلق (بالتخلي عن معرفة الاجزاء لصالح معرفة الكليات ولا ترك التحليل لصالح التركيب. المطلوب هو إستثمار الاثنين معاً. لا يجب ان ننسى إننا امام تحديات تفرضها بشكل حتمي تطورات عصرنا الكوكبي)<sup>(4)</sup>. إن الفكر الاختزالي إذا كان ينبني على هيمنة نوعين من العمليات المنطقية، هي الفصل والاختزال، وهما عمليتان مشوهتان، بحسب موران، فإن مبادئ الفكر المركب، بالضرورة، مبادئ تقوم بالفصل والوصل<sup>(5)</sup>. إن حل ازمة الاختزال، براي موران، بالفكر المركب، ذلك ان تقدم المعلومة رافقة ازدياد الجهل نتيجة لتجزئة المعرفة وتقسيمها<sup>(6)</sup>. إذ ان الفكر (الذي يدرك

---

(1) موران ، ادغار ، هل نسير الى الهاوية ؟ ، ص 61 .

(2) موران ، ادغار ، مدخل الى الفكر المركب ، ص 82-83 .

(3) موران ، ادغار ، هل نسير الى الهاوية ؟ ص 51 .

(4) موران ، ادغار ، تربية المستقبل ، ص 45 .

(5) موران ، ادغار ، مدخل الى الفكر المركب ، ص 77-78 .

(6) موران ، ادغار ، النهج ، ص 286 .



المتشظي، والمتجزئ، والمنفصل عن سياقه، والقابل للتكميم، غير قادر على اي إدراك عالمي واساسي<sup>(1)</sup>.

غير إنه شدد على اهمية النظر في الوحدة من جهة كونها تنتج التنوع لا من جهة كونها تولد التجانس وتقضي على التنوع، كما يجب النظر للتنوع من جهة كونه ينتج الوحدة، لا التنوع الذي ينغلق على ذاته فيقضي على الوحدة<sup>(2)</sup>. يقول (كل ربط بين ثقافتين فيه إغناء للثقافات ذاتها. إنه يفضي الى إنجازات خلاقة بفضل التهجينات الثقافية)<sup>(3)</sup>.

### 3 \_ الحوار واخلاق الفهم:

عندما اتحاور، فهذا يتطلب آخر لمحاورته فمن هو الآخر بحسب موران ؟ إنه (النظير والمختلف في الوقت نفسه، نظير بسماته البشرية او الثقافية المشتركة ومختلف بتميزه الفردي او باختلافه العرقي)<sup>(4)</sup>. ويرى باننا إزاء الآخر في علاقة مزدوجة مترددين بين التعاطف والخوف، ذلك إن (إنغلاق الذات على نفسها تجعل الآخر غريباً عنا، اما الانفتاح على الآخر فيجعله اخاً لنا. فالذات بطبيعتها مغلقة ومنفتحة)<sup>(5)</sup>. وبمعنى مقارب يقول (توجد في حالة الذات إمكانية للانانية تذهب حد التضحية بكل شيء من اجل الذات وإمكانية إثارة تذهب حد التضحية بالنفس. ويمكن ان تقود الاولى الى معاداة البشر

---

(1) المصدر نفسه ، ص 288 .

(2) Philoso.over-blog.net .

(3) موران ، ادغار ، تربية المستقبل ، ص 53 .

(4) موران ، ادغار ، النهج ، ص 93 .

(5) المصدر نفسه .

بل احياناً الى القتل كما فعل قابيل. ويمكن ان تثير الثانية اخوة تدفع الى منح الحياة للصديق، والاخ ...<sup>(1)</sup>. وشبه علاقة الفرد بالنوع بمثال البكتيريا التي سبقتنا في الوجود، إذ بطبيعتها الانشطار الى بكتيرتين، لتصبح كل واحدة منهما امّاً واختاً وبناتاً لآخرى في الوقت نفسه<sup>(2)</sup>. وشبهها بالعلاقة التي اوجدها الفيزيائي نيلز بور NielsBohr بين الجسيم والموجة في الفيزياء المجهرية إذ تبدو الجزيئة، وبحسب نوع الرصد (تارة كوحدة متميزة يمكن عزلها، هي الجسيمة، وتارة كمجموعة متصلة لا مادية، وهي الموجة)<sup>(3)</sup>. فضلاً عن إنه اكد لنا بان مبدا الاندماج متاصل فينا، كما الطير الصغير الخارج تَوّاً من البيضة والذي يتبع امه<sup>(4)</sup>. كل اقواله السابقة تلك يمكن لها ان تؤسس لإمكانية الحوار. عد موران إعتبار الآخر مصدر الشر من الاخطاء التي تحدث للانسان نتيجة التمرکز على الذات<sup>(5)</sup>. واكد على اهمية الحوار فله فوائد عدة :

ا - إزدياد إنسانية الذات ثراءً.

ب - تأكيد ذواتنا<sup>(6)</sup>

ج - الخلاص من الحرب والمعاناة، عندما يصير انا - الآخر والآخر-

(1) المصدر نفسه ، ص 91 .

(2) المصدر نفسه ، ص 134 .

(3) المصدر نفسه ، ص 65 .

(4) المصدر نفسه ، ص 93 .

(5) موران ، ادغار ، تربية المستقبل ، ص 23 .

(6) موران ، ادغار ، النهج ، ص 98 .

انا<sup>(1)</sup>. اما كيفية نجاح الحوار، فبالنقاط التي اشرها موران لنا:

ا - الوعي بالمصير المشترك: بان نمتلك وعياً بالمواطنة المشتركة، والتي ينبغي ان تصنع منا مواطني (الارض - الوطن)<sup>(2)</sup>. هذا المصير المشترك حددته التهديدات الواحدة، فضلاً عن التقارب الثقافي والتقني والاقتصادي المعاصر<sup>(3)</sup>. وقد اوكل موران تاصيل ذلك الوعي الى التربية.

ب - التسامح والصفح: يؤكد موران إن ممارسة الصفح والعفو تتباين في الافراد وبحسبهم وبحسب الثقافات<sup>(4)</sup>. ويرى إنه رهان اخلاقي لانه فعل صعب جداً، ذلك انه لايعني التخلي عن العقاب فقط. بل يقتضي كرمًا، إنه يتطلب الفهم، فهم باهمية عدم إختزال الانسان في الجرم الذي إرتكبه، فهم لمسوغات المجرم وتعقل لجنونه وإضطرابه، كان نفهم إنه مخدوع او معمي من قبل ثقافته، او وراء عماه قناعة سياسية او دينية متعصبة<sup>(5)</sup>. والصفح يجب ان لا يكون بإجبار لانه بذلك يكف عن ان يكون صفحاً يجب بذل الجهد للافلات من قبضة الانتقام والكرهية. فالنسيان واجب وإلا اصبحنا مجانيين، وعلى الضحية ان يكون اكثر ذكاءً وإنسانية ممن كان سبباً في معاناته، والتربية هي التي يمكننا مساعدتنا على تلك المقدرة<sup>(6)</sup>.

---

(1) المصدر نفسه ، ص173 .

(2) موران ، ادغار ، بودريار ، جان - عنف العالم ، ص86 .

(3) www.almadapaper.com .

(4) موران ، ادغار ، النهج ، ص80 .

(5) موران ، ادغار ، الصفح مقاومة لبشاعة العالم ، ترجمة وتعليق حسن العمراني ، مجلة يتفكرون ، العدد الثاني ، 2013 ، ص9 .

(6) المصدر نفسه ، ص13-14 .

ج - المحبة الانسانية: وضع موران امله فيها، مؤكداً إن الشعور بالآخر هو امرٌ وجودي، لا يتعلق بالتفكير العقلاني، اي للعواطف امرٌ مهم بذلك. وللعاطفة جانبها السلبي هو الكراهية، ما يعيدنا للتمسك بالعقل، على إنه ليس العقل الجاف البارد<sup>(1)</sup>. والى جانب الحوار، اكد موران على اخلاق الفهم، إذ هو من يتيح الاعتراف بالآخر برايه. وللفهم علاقة وثيقة بالصفح، وكان معنى الفهم في الآية التي قال بها يسوع عندما طالب بالصفح مسوغاً (لأنهم لا يعلمون ما يفعلون)<sup>(2)</sup>. إن من اخلاق الفهم، ان نفهم عدم الفهم - بحسب موران - يقول (فالشخص المتسامح عندما يكون مهدداً بالموت من طرف شخص آخر متعصب، يفهم لماذا يريد المتعصب قتله، مع العلم إن هذا الاخير لن يفهمه ابداً)<sup>(3)</sup>. وواضح إن اخلاق الفهم مقاربةٌ لاخلاق النقاش التي قال بها الفيلسوف الالمانى المعاصر هابرماس Habermas. ربما من المناسب هنا الاشارة الى إن موران جسد اقواله في تقبل الآخر والاندماج معه في زواجه الاخير من عربية مغربية. كما ووقف مع القضية الفلسطينية، ما جعله هدفاً لمعارك يشنها انصار الصهيونية ضده في فرنسا<sup>(4)</sup>.

(1) رمضان طارق ، الاخلاق في عالم اليوم بين التنظير والتطبيق [taria.ramadan.com](http://taria.ramadan.com)

(2) موران ، ادغار ، الصفح مقاومة لبشاعة العالم ، ص 11 .

(3) موران ، ادغار ، تربية المستقبل ، ص 93 .

(4) موران ، ادغار ، نجوم السينما ، ترجمة ابراهيم العريس ، مراجعة هدى نعمة ، بيروت، 2012 ، ص 7-8 م .

هل يمكن للازمة ان تكون سبباً في نشوء مجتمع عالمي ؟  
بحسب موران لم يمتلك المجتمع القديم دولة، ومع التقدم برزت وكانت الحدث الرئيس للمجتمعات التاريخية، وسرعان ما اخذت آلتها المليونية. بإستعباد السكان، وبخاصة في القرن العشرين مع بروز الانظمة الشمولية، إذ صارت الدولة المستعبدة هي ذاتها مستعبدة من قبل الحزب الواحد المهيمن. وبعد التقدم العلمي - التقني - اجتاحت الماكنة قطاعات الدولة، ومع التقدم اكثر نجد إن الدولة الحديثة، في الغرب الاوربي بخاصة، دمجت الاثنيات المتنافرة دون ان تلغي اختلافها من خلال لغة وتعليم مشترك، ما جعل ابناءها يشعرون إنهم ابناء وطن واحد فصار مواطنيها مخلصين له، وهو دينهم. كل ذلك عمل على نمو الفردانية مع غياب التضامن والشعور بالوحدة، ما ادخل مجتمع البشرية في ازمة. خاصة مع العولمة التي صارت ظاهرة نتيجة التقدم العلمي - التقني <sup>(1)</sup>. لذلك نجد موران يدعو للتمسك بامل نمط من المجتمعات العالمية. خاصة وإن البشرية الاولى كانت لها اللغة والثقافة ذاتها ثم اصابها التعدد والتشتت بعد ذلك. ما جعل بنا حاجة للعودة الى اصولها الاولى <sup>(2)</sup>. فضلاً عن ان العولمة قد وضعت البنية التحتية لمجتمع عالمي عجزت عن بنائه، فقد تهيأت الاجهزة والمعدات hardware ولم تتهيأ البرامج Software. مادفع

---

(1) موران ، ادغار ، النهج ، ص 231 .

(2) موران ، ادغار ، هل نسير الى الهاوية ؟ ص 154 .

موران لوضع مبادئ لما اطلق عليه الاناسة السياسية Anthropolitique اي سياسة انسانية على الصعيد الكوكبي<sup>(1)</sup>. لكن ما اهمية وجود مثل ذلك المجتمع ؟ الاهمية الرئيسة هي انه يمكن ان يكون العلاج الناجع للارهاب العالمي، وهو من نوع العنف غير الحميد - بحسب موران - والذي يمكن ان يوصل له التقدم العلمي - التقني - المتمثل بسهولة صنع السلاح النووي<sup>(2)</sup>. والذي يمكن ان يؤدي الى الموت الهائل الذي لم يحدث الآن لان الحرب ذاتها تعيش، برايه في ازمة، لحسن الحظ، نتيجة الخوف المتبادل بين الدول العملاقة الذي بات الرقيب الواقعي المانع لوقوع حرب عالمية ثالثة للآن<sup>(3)</sup>. ولا تقتصر اهمية وجود المجتمع العالمي على ذلك. إذ إن احتمالية وجوده ستفرض احتمالية تمتعه بتقدم تقني وإتصالات عظيمة تتيح التكافل الخصب بين الازهان، والاندماج الناجح للذكاءات الاصطناعية وعالم التقنيات<sup>(4)</sup>. إلا إن موران اقر بوجود معوقات يمكن لها ان تمنع وجوده اهمها صراع مصالح القوى العظمى المتضاربة<sup>(5)</sup>. فضلاً عن المقاومة القطرية والعرقية والدينية، وقلة النضج في الازهان وذلك مادفع موران الى التاكيد على اهمية التوعية بمواطنة المواطن الذي ينتمي الى الكرة الارضية. ذلك إن (للشعر جميعاً الاجداد ذاتهم، كلهم اولاد الحياة

---

(1) المصدر نفسه ، ص72-74 .

(2) موران ، ادغار ، الى اين يسير العالم ؟ ، ص 77 .

(3) المصدر نفسه ، ص 39 .

(4) موران ، ادغار ، النهج ، ص 303 .

(5) المصدر نفسه ، ص 286 .

والارض<sup>(1)</sup>. وحتى يبعد سمة اليوتوبيا Utopia عن المجتمع الذي دعا له، طالب عدم الحلم بعالم يمكن لنا ان نتحكم به، ذلك ان الصيرورة هي الحاكمة وهي تنطوي على مجازفات وتقلبات ومخاطر<sup>(2)</sup>. واكد ان ذلك المجتمع لن يحل من تلقائه المشكلات الخطيرة التي تحبل بها المجتمعات ويزخر بها عالمنا، كاشكال الاستغلال والتفاوتات القائمة والهيمنة، إلا إنه السبيل الوحيد الذي يمكن به للعالم ان يحرز التقدم<sup>(3)</sup>. والسؤال الذي يمكن ان يُسال، هل آمن موران بإمكانية تحقق المجتمع العالمي؟ يشير في بعض مؤلفاته بالقول (ان تحقق يوما ما). وهي صيغة تنطوي على الشك. ومثلها صيغ اخرى وردت كقوله إن ولادة مجتمع عالمي غير منجزة وغير مكتملة بعد، ويمكن لهذه الولادة ان تجهض<sup>(4)</sup>. إلا إن له قولاً هو اقرب للتفاؤل. فمع إن ولادته بعيدة الاحتمال (لكني صرفت حياتي كلها أوامل في ما هو بعيد عن الاحتمال وكان مؤملي يجد له التحقق احياناً)<sup>(5)</sup>. واكد إن إصلاح الفكر واصلاح الكائن البشري نفسه، من طريق إصلاح انظمة التعليم، هو السبيل لوجوده<sup>(6)</sup>. اخيراً يحق لنا السؤال عن كيفية قراءته للمستقبل، وذلك وفق المعطيات السابقة لازمة العالم، ومقترحاته التي قدمها لحلها؟ يؤكد لنا موران إن عدم إمكانية قراءة المستقبل، على ما اشرنا، ذلك

---

(1) المصدر نفسه ، ص 284 .

(2) موران ، ادغار ، هل نسير الى الهاوية ؟ ، ص 172-173 .

(3) المصدر نفسه ، ص 158 .

(4) المصدر نفسه ، ص 290 .

(5) موران ، ادغار ، هل نسير الى الهاوية ؟ ، ص 47 .

(6) المصدر نفسه ، ص 85 .

إن لا شيء يعد يقين اليوم، يقول (لا يمكن قراءة المستقبل واصبحت المصائر العلمية تعتمد أكثر فأكثر على المصير العالمي للكرة الأرضية)<sup>(1)</sup>. المستقبل، بحسبه، يتسم بالغموض، لذا نجده يصرح بقراءة تتسم بالاحتمالية إذ يقول : (لا يمكن إستبعاد قيام نظام شمولي جديد يمتلك وسائل بيولوجية وكيميائية تتحكم بالجينات والادمغة، أكثر فعالية من تلك التي وسمت القرن العشرين)<sup>(2)</sup>. وبمعنى غير بعيد يصرح بان مصير الكون قد ينمي افضل جوانبه، والتي هي مجتمع عالمي يتشكل في حياة مجتمعات، يعمل على تحضر العلاقات بين البشر، وعلى تراجع قسوة العالم. اما اسوا جوانبه فهي مجتمع عالمي بربري، ويضيف الى اشكال الاضطهاد والهيمنة القديمة اشكال جديدة كاللامساواة بين البشر المتفوقين والمتخلفين<sup>(3)</sup>. ويقول : (إن المستقبل الذي يهيئه القرن الحادي والعشرون غير مشرف بالتأكيد، لكن يمكن ان يكون افضل بدلاً من اسوا)<sup>(4)</sup>. وهكذا لا نجده لا متفائلاً ولا متشائماً، بل تحمل قراءته للمستقبل المعنيين معاً، يقول : (ينبغي علينا ان نكون مستعدين للتشاؤم وللتفاؤل. فمن جهة يمكن لنهاية الانسانية ان تكون وشيكة. ومن جهة اخرى، اصبحت ولادة جديدة للانسانية امراً ممكناً)<sup>(5)</sup>. والحقيقة إن قراءته الاحتمالية تلك ماهي إلا وليدة الفكر المركب Complexus الذي دعا له وعبر عنه وإمتاز به في كتاباته.

(1) موران ، ادغار ، النهج ، ص 289 .

(2) المصدر نفسه ، ص 237 .

(3) المصدر نفسه ، ص 302-303 .

(4) المصدر نفسه ، ص 302 .

(5) موران ، ادغار ، الى اين يسير العالم ؟ ، ص 68 .



يقول : ينبغي ان نتخلص من ثنائية المتفائل والمتشائم، كلما تزداد الامور خطورة كلما يزداد الوعي، هذا هو التفكير المركب، إنه الجمع بين مفاهيم يدفع الواحد منها الآخر<sup>(1)</sup>.

---

(1) حوار مع ادغار موران وهو في التاسعة والثمانين من عمره . Alalemya.com

## الخاتمة

انتهت رحلتنا البحثية في الازمة التي يمر بها العالم نتيجة التقدم العلمي - التقني- والتي وضع موران يده عليها، مقترحاً بعض الحلول لها. وقارئاً للمستقبل وفقاً لكيفية تعاطينا مع تلك المقترحات والحلول. ونهاية رحلتنا البحثية تلك اوصلتنا للنتائج الآتية:

- موران من فلاسفة ما بعد الحداثة الفلسفية، وناقدٍ للحداثة، بهدف إصلاحها وإرجاعها الى المسار الصحيح الذي انحرفت عنه، وذلك من خلال طروحاته في العقلانية المنفتحة والناقدة والفكر المركب.
- وهو من كوكبة فلاسفة اخلاق الحوار المعاصرين، بطرحه فلسفته في (اخلاق الفهم والصفح).
- إنه فيلسوف إنساني بنظرة شمولية، إبتعد بفكره عن القومية والعنصرية والعرقية، وتدين بدين الانسانية.
- واحد من الداعين الى المجتمع العالمي، بهدف تحقيق السلام - بالدرجة الاولى- إلا ان المجتمع العالمي الذي دعا له لا يتسم بالسمة اليوتوبية التي غالباً ماتسم تلك المجتمعات. إذ تمكنت مقترحات موران حول طبيعته في ابعاد تلك السمة عنه.

- إعتد موران التربية اساسا لجميع المقترحات والحلول التي طرحها  
لحل ازمة العالم.
- كان فكره خليطا من مجموعة فلسفات قديمة وحديثة ومعاصرة،  
اشرنا لبعضها في سياق البحث. فضلا عن النظريات المتعددة  
التي اشرنا لها، كيف لا وهو المنادي بالفكر المركب، ذلك الفكر  
الرافض لاختزال المعرفة وتجزئتها. وهنا نرى اثر الفيلسوف الفرنسي  
برجسون، الذي نعتقد انه بدعوته لاهمية التقدم الروحي والتي وجهها  
لعالما المتقدم ماديا فقط، اثر بما لا يقبل الشك، بمعظم الفلاسفة  
الذين اكدوا اهمية النظرة الشمولية للمعرفة من بعده.
- قراءته للمستقبل كانت احتمالية متحفظة، ذلك إنه من الفلاسفة  
الذين انكروا الحتمية واليقين .

## المصادر

### مؤلفات ادغار موران .

- النهج ، ترجمة : هناء صبحي ، ابو ظبي ، 2009 .
- الى اين يسير العالم ؟ ، ترجمة : احمد العلمي ، السعودية ، 2009 .
- تربية المستقبل ، ترجمة: عزيز لزرق ومنير الحجوجي ، المغرب ، 2002 .
- ثقافة اروبا وبربريتها ، ترجمة : محمد الهلالي ، المغرب ، 2007 .
- عنف العالم ، مشترك مع جان بودريار ، ترجمة: ابراهيم محمود ، سوريا ، 2005 .
- مدخل الى الفكر المركب ، ترجمة: احمد القصوار ومنير الحجوجي ، المغرب ، 2004 .
- نجوم السينما ، ترجمة ابراهيم العريس ، مراجعة هدى نعمة ، بيروت ، 2012 .
- هل نسير الى الهاوية ؟، ترجمة عبد الرحيم حزل، المغرب، 2012.

## الدوريات :

- موران ، ادغار ، الصفح مقاومة لبشاعة العالم ، ترجمة وتعليق حسن العمراني ، مجلة يتفكرون ، العدد الثاني ، 2013 .

## مقالات شبكة الانترنت باللغة العربية:

- Classic.aawsat.com .
- www.bayanealyaoume.press.MaLindex.ph
- www.oujdacity.net .
- www.erdemnews.com .
- www.facebook.com .
- www.groops.google.com .
- Philoso.over-blog.net .
- www.almadapaper.com .
- www.tariq ramadan.com .
- www.alalemnya.com.

## مقالات شبكة الانترنت باللغة الانجليزية .

- En- / Wik ipedia. Org lwikilEdgar-Morin
- www.edgarmorin.org.
- www.wise-qatar.org .
- www.eoht.lrfp/page/

## خاتمة باهم النتائج:-

كانت للفلاسفة الذين إختارناهم موضوعا لدراستنا، على إختلاف جنسياتهم، ومشاربهم، ومذاهبهم - نقاط مشتركة في العنوان الذي عالجنه بدراستنا هذه. ما يدل على وحدة الفكر الانساني، ووحدة همه، ورغباته في كل زمان ومكان.

واهم النقاط التي إتفق عليها هؤلاء الفلاسفة، والتي خرجنا بها من دراستنا كانت:-

- 1 - إجماع المحاولات على إيجاد مجتمع إنساني كبير منسجم
- 2 - حل النزاعات بين البشر ,والعيش بسلام
- 3 - البدء في كل المحاولات بمنهج نقدي شكي
- 4 - التوسل بالتربية للوصول إلى غاياتهم
- 5 - لم يكونوا على تفاؤل في إمكانية الوصول لحل دائم, ولا لحل بالمستقبل القريب
- 6 - إفترقوا عن القائلين بالمجتمعات اليوتوبية بمحاولتهم التوسل بالعلم, وعلم النفس بخاصة

- 7 - مطالبهم العودة للدين,بعد ان تبين لهم فشل إقصاء الروحانيات في فترة الحداثة الفلسفية
- 8 - اجمعوا على نقد التقنية الحديثة, والاثـر السيء للعلم.

## الفهرس

الإهداء.....	5
المقدمة.....	7
الدراسة الفلسفية الاولى التنسيق في حدود النسق.....	9
دراسة في فلسفة رويس الاخلاقية.....	9
المقدمة.....	11
اولاً :- التعريف بالنسق .....	13
ثانياً: التنسيق في حدود النسق.....	20
ثالثاً:- غاية التنسيق .....	47
الخاتمة.....	53
المصادر.....	57
الدراسة الفلسفية الثانية: عقلنة الدوافع التدميرية عند الانسان.....	61
المقدمة.....	63
اولاً: المشكلة – الطاقة التدميرية واسبابها.....	66
ثانياً: علاج المشكلة (عقلنة التدميرية):.....	86
الخاتمة: نحو مجتمع افضل ... ..	97
المصادر.....	103
الدراسة الفلسفية الثالثة: التقدم العلمي - التقني وازمة العالم .....	107
المقدمة .....	109
اولاً: الازمة .....	111



116	-التقدم التقني
121	ثانياً : افرازات الازمة
125	ثالثاً: حل الازمة ورهان المستقبل
127	1 - العقلانية والنقد الذاتي
133	2 - الفكر المركب
136	3 - الحوار واخلاق الفهم
140	4 - المجتمع العالمي
145	الخاتمة
147	المصادر
149	خاتمة باهم النتائج:



## فلسفة المدينة الفاضلة

يوتوبيا الفلاسفة القدماء  
وواقعية الفلاسفة المعاصرين

كما عند كل الكائنات، لدينا قوى دفاعية ضد من يحاول إيلاطنا، ولم أقصد جسدية ظاهرة فحسب، بل ونفسية كذلك.

فما الأحلام، وأحلام اليقظة، إلا واحدة من قوانا الدفاعية ضد واقع يؤلنا. إنها نوع من العلاج الطبيعي أو العقار المهدئ الذي نمنحه لأنفسنا بنفسنا، بالوعي المباشر حين، أو عندما نحوله إلى اللاوعي أحيانا أخرى. كمن نام عطشا فحلم إنه يشرب الماء. أو كمن إستاء من شخص ما ولم يظهر له ذلك، فتخيل إنه لبس ألتاج وقبض على الصولجان وسينتقم من الشخص الذي إستاء منه بأقرب فرصة.

المتنفسات الحاملة هي نوع من الوسائل الإنسانية الدفاعية - المتنفس - يشهرها المفكر بوجه واقع مؤلم معاش. عندما قال بها المفكرون والفلاسفة قديما، أطلق عليها أليوتوبيات (من كلمة يوتوبيا Utopia) لان مواصفاتها تجعلها غير قابلة للانوجاد في ألقاع.